(3) سلسلة

منار الشباب



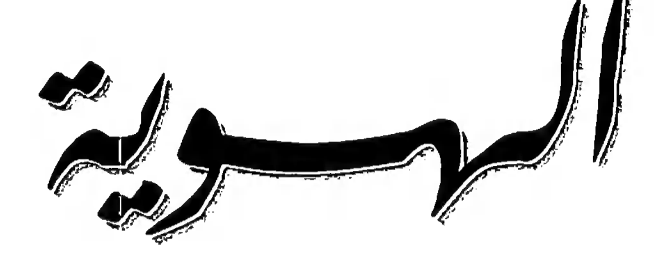
الهويّة

بدوى محمود الشيخ

Karam Ahmed

الأندلس الجديدة
للنشر والتوزيع
18 شارع مطر - أحمد حلمي - شبرا مصر - تليفون: 0101068135
newandalus@hotmail.com

سلسلة منار الشباب (٣)



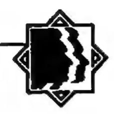
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]

بدوى محمود الشيخ

الطبعة الأولى للناشر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٥٥١٠
الترقيم الدولي: I.S.B.N
978-977-456-207-5





مقدمة

ولما كانت علاقة الفرد بمختلف الجوانب الحياتية يعتمد إلى مدى بعيد على نظرة الفرد إلى الكون والحياة والزمان والمكان والأشخاص، ومما يدخل جميعًا تحت مكون ماهية الذات، وما هى «الأنا»، وما هى الأسس التى ينبنى عليها تلك النظرة فضلاً عن التعامل مع «الأنا» الأخرى، مع اختلاف نظرات كل منها للكون والحياة والزمان والمكان والأشخاص.

يصبح من الضرورى للفرد والشاب المسلم، أن يعرف، ما معنى أنه مسلم، من المنظور الاجتماعى والثقافى، وماذا يملى عليه هذا الانتماء من تحديد رؤيته لعدد من العلاقات والمواقف، فضلاً عن أسس وفضاءات توظيف واستثمار أوقاته وإبداعاته ومهاراته.

وهذا الجزء، من سلسلة كتاب «المنار» يعطى إطلالة على مسألة «الهوية» ودورها فى رسم وتحديد «الذات» ودوائر الانتماء، وفى ضبط وتعبيد المهارات والإبداعات سواء كانت رياضية أو فنية أو تسخيرية.



حيث ينقسم هذا الجزء إلى فصلين منفصلين:

الأول: يعـرض لمفـهـوم الذات ومـلامح تميـزها، ودوائر الإنتـمـاء ومتعلقاته.

الثانى: يعرض لعلاقة تلـك الهوية بمسئولية التعامـل مع قيمة الوقت وسلامة الجسم والحواس، والموقف من طرق استثمار المهارات والقدرات التى أودعها الله إياه.

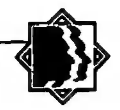
المؤلف

****

الفصل الأول

دوائر الانتماء

- التميز فى الذات
- اللغة
- الانتماء
- الوطن
- القومية
- العلاقة مع الآخر



التميز فى الذات

قال -تعالى-:

* ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقال رسول الله -ﷺ-:

١- «بعثت بين يدى الساعة بالسيف، حتى يعبد الله -تعالى- وحده لا شريك له، وجعل رزقى تحت ظل رمحى، وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى، ومن تشبه بقوم فهو منهم» حديث صحيح، رواه أحمد والطبرى ومسند أبو يعلى.

٢- «ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف».

حديث حسن، رواه الترمذى عن ابن عمر [صحيح الجامع: ٥٤٣٤].

٣- «إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم».

أخرجه مالك والشيخان وأبو داود عن أبى هريرة.

٤- «خالفوا المشركين، احفوا الشوارب، وأوفروا اللحى» متفق عليه عن ابن عمر.

٥- «اعفوا اللحى، وجزوا الشارب، وغيّروا شيبكم، ولا تشبهوا باليهود والنصارى» حديث صحيح رواه أحمد عن أبى هريرة.

٦- «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجه البخارى.

***

قبسات من نور الوحى:

ما هى الذات؟

الذات هنا تعنى: الأنا.. أو ماهيتى.. أو الهوية الإنسانية والخاصية الثقافية التى تميز بين الذوات المختلفة، وتأتى أهمية الخصوصية الثقافية المستقلة عند كل من يمتلكها، فى أنها تتيح له القدرة على الإنتاج والإبداع الحضارى.

والمجتمع المنتج هو ذلك المجتمع الذى يمتلك الفكر والثقافة الذاتيين، والقيم والمعتقدات والفنون المستقلة والوعى الدينى والتجربة التاريخية الحيوية التى تفجر فيه إرادة الإنتاج المادى والحضاري.

ومن هنا فإن أول ما ينفذ فيه الفكر الاستعمارى، هو تدمير تلك الذوات الثقافية والتاريخية التى تمنح الأمم شخصيتها المستقلة (الأنا)،



حتى ينشأ ذلك الجيل التابع الذى لا شخصية له ولا أصالة ولا قيمة، فلا يجد مفرًا أمامه من التقرب والتظاهر والتقليد لتعويض نقصه نفسيًا، عن طريق إلغاء نفسه وكل ما هو منسوب إليها بالإنكار والتحقير بدءًا من اللغة واللسان الخاص وانتهاءًا بالقيم والدين، ثم عن طريق التشبه بالآخرين يبحث لنفسه عن شخصية جديدة وصفات جديدة وقيم جديدة، وبشوق وإصرار يلقى بنفسه فى أحضان الأمم المستعمرة، وهذا ما فعله الاستعمار الغربى بالمجتمعات الإسلامية، حتى نجح فى بناء جيل المتشبه بالغرب والمفكرين المصنوعين، الذين تولوا فيما بعد عمليات التحول والتغريب، وذلك تحت شعارات خادعة كالإنسانية والعالمية التى ترمى إلى تذويب الذات، أو عن طريق اختلاق انتماءات بديلة جاهلية وعرقية كالعودة إلى القومية المحلية وعبادة الدم والتراب كالنفخ فى الآثار القديمة الميتة، التى لا تملك مقومات الحضارة والثقافة، ولم تترك الرؤية الكونية والتصور الكامل للحياة والقابل للتجديد، كالحركة الفرعونية[١].

(١) يقول الأستاذ/ أنور الجندى فى «مقدمات العلوم والمناهج»، ج٤، ص ٥١٥:

(دعا طه حسين إلى الفرعونية وردّد فى كتاباته المختلفة هذا المعنى الذى استعلنت نتيجة له مظاهر كثيرة منها إقامة تمثال نهضة مصر واتخاذ الشارة الفرعونية رمزًا للجامعة المصرية فى محاولة للإدعاء بأن مصر فرعونية وليست عربية وأن الفن الفرعونى هو أحد عناصر الغذاء الروحى والعقلى للشباب وقد كشف دعاة الأصالة هذه المحاولة الشعوبية، فقال محمود محمد شاكر: أن الفن المصرى الفرعونى فن وثنى جاهلى قائم على التهاويل =



= والأساطيـر والخرافات التي تمحق العـقل الإنساني، وأن تمثال نهـضة مصر الذى أقـامه الفنان محمود مختار ليس إلا تقلـيدًا فاسدًا لآثار حضارة قد اندثرت وبادت ولا يمكن أن تعود فى أرض مـصر مـرة أخرى بوثنيـتها وأباطيلـها وسحـرها وخرافـاتها، وهل يستطيع الفنـان الذى نحته وأقامـه أن يعيد فى مـصر تاريخ الوثنية الجـاهلية ومجـتمع الحضـارة الفرعونيـة والتى كانت وحيًـا للفنان الفرعـونى الذي عبد الشـمس وخضع لفرعون وأقر له بكل معانى الربوبية وآمن بالأباطيل والأساطير والتهاويل الدينية الوثنية الضخمة الـهائلة المخيفة التى قذفـها فى قلبه أبالسة عصره من الجـبارين والطغاة وهل نستطيع أن نجعل في أرض مصر شـعبًا وثنيًا متعبدًا للفـراعنة والجبابرة بالخوف والرهبة والرعب حتى يتأثر عقله هذا الضرب مـن الفن المصرى القديم.. لقد ذهب كل بهذا، لقد دثر لقد باد . أ. هـ).

ومع أن هذه الدعـوة قد انـتهت إلى فـشل ذريع من قـبل بعـد أن امتـدت سنوات فى العشرينات من هذا القرن، إلا أنه للأسف الشديد، يعاد فى الثمانينات النفخ من جديد فى هذه الدعوة، فـتنظم الدورات الرياضية، وتبـنى قاعات كبـرى للاحتفـالات برموز وأسماء فـرعونية..... و .... ويظل الإعلام صباح مـساء يعرض وينفخ فى الآثار الفرعونية، إصرارًا على فرض هذه الهوية الوثنية.. وهيهات هيهات!!

وفى محاولة لسحق الحاضر الإسلامى لهوية الأمة بين فرض العلمانية الغربية من ناحية وإحياء الفرعونية من ناحية أخـرى، المهم تشتيت الهوية الإسلامية، والغريب أن نموذج طه حسين اللاعب الدور كـأكبر مـبشر وداعـية للتغـريب وتقليد الغرب، ذلك المبـشر والداعيـة المزدوج كان يلعب فى نفس الوقت دور الهادم والمـشكك فى الدين والتراث، والعـمل على القضـاء على التـعليم الأزهرى وبحـجة توحـيد نظـام التعليم مـا تحت الجامعى، ورحم الله الإمام الشيخ متولى الشـعرواى، حينما قال: إذا كان ولابد توحيد النظام التعليمى، فلماذا لا يأزهروا المدارس بدلاً من أن يمدرسوا الأزهر؟!



فى قلب المجتمع وفى وجدانه، وتتحكم فى تصوراته ورؤيته للكون والحياة والعلاقات الإنسانية.

ومن هنا كان الاختصاص والتميز ضروريان للأمة الإسلامية، سواء كان هذا التميز فى التصور والاعتقاد أو فى القبلة والعبادة أو فى العادات والسلوك، وربما بدا ذلك واضحًا فى حدث تحويل القبلة من المسجد الأقصى، قبلة اليهود والنصارى، إلى بيت الله الحرام ولتتميز للمسلمين كل خصائص الوراثة الحسية والشعورية، وراثة الدين والقبلة، كما بدا في التوجيهات النبوية المتكررة فى النهى عن التشبه بمن دون المسلمين. يقول صاحب الظلال:

(ولقد علم الله أن الرغبة الفطرية فى اتخاذ أشكال ظاهرة للقوى المضمرة هى التى حادت بالمنحرفين عن الطريق السليم، فجعلت جماعة من الناس ترمز للقوة الكبرى برموز محسوسة مجسمة من حجر وشجر، ومن نجوم وشمس وقمر، ومن حيوان، وطير وشيئ.. حين أعوزهم أن يجدوا متصرفًا منسقًا للتعبير الظاهر عن القوى الخفية... فجاء الإسلام يلبى دواعى الفطرة بتلك الأشكال المعينة لشعائر العبادة، مع تجريد الذات الإلهية عن كل تصور حسى وكل تحيز لجهة، فيتوجه الفرد إلى قبلة حين يتوجه إلى الله بكليته.. بقلبه وحواسه وجوارحه.. فتتم الوحدة والاتساق بين كل قوى الإنسان فى التوجه إلى الله الذى لا يتحيز إلى مكان، وإن يكن الإنسان يتخذ له قبلة من مكان!



ولم يكن بد من تمييز المكان الذى يتجه إليه المسلم بالصلاة والعبادة وتخصيصه كى يتميز هو ويتخصص بتصوره ومنهجه واتجاهه.

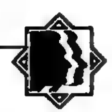
فهذا التميز تلبية للشعور بالامتياز والتفرد، كما أنه بدوره ينشىء شعورًا بالامتياز والتفرد.

وهناك كان النهى عن التشبه بمن دون المسلمين فى خصائصهم، التى هى تعبير ظاهر عن مشاعر باطنة كالنهى عن طريقتهم فى الشعور والسلوك سواء، ولم يكن تعصبًا ولا تمسكًا بمجرد شكليات، وإنما كان نظرة أعمق إلى ما وراء الشكليات، كان نظرة إلى البواعث الكامنة وراء الأشكال الظاهرة.

وهذه البواعث هى التى تفرق قومًا عن قوم، وعقلية عن عقلية، وتصورًا عن تصور وضميرًا عن ضمير، وخلقًا عن خلق، واتجاهًا فى الحياة كلها عن اتجاه.

نهى عن تشبه فى مظهر أو لباس، ونهى عن تشبه فى حركة أو سلوك، ونهى عن تشبه فى قول أو أدب.. لأن وراء هذا كله ذلك الشعور الباطنى الذى يميز تصورًا عن تصور، ومنهجًا فى الحياة عن منهج، وسمة للجماعة عن سمة.

ثم نهى عن التلقى عن غير الله، ومنهجه الخاص الذى جاءت هذه الأمة لتحققه فى الأرض.



نهى عن الهزيمة الداخليـة أمام أى قوم آخرين فى الأرض، فـالهزيمة الداخليـة تجاه مـجتـمع معين هى التى تـتدسس فى النفس لتـقلد هذا المجـتمع المعـين، والجمـاعـة المسلمة قـامت لتكون فى مـكان القيـادة البشرية، فـينبغى لها أن تستـمد تقاليدها -كمـا تستمد عقـيدتها- من المصدر الذى اختارها للقيادة)[1].

****

---

(١) سيد قطب، فى ظلال القرآن، ج ١، ص١٢٨.



اللغة

قال - تعالى-:

* ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

* ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

* ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ٣].

* ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال رسول الله ﷺ:

٧- «من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية، فإنه يورث النفاق» عن ابن عمر -رضى الله عنهما-.

ولقد كتب عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- إلى أبى موسى الأشعرى -رضى الله عنه-: «أما بعد، فتفقهوا فى السنة، وتفقهوا فى العربية، وأعربوا القرآن، فإنه عربى» . وروى أيضًا أنه قال: «تعلموا العربية، فإنها من دينكم».

قبسات من نور الوحى:

تلعب اللغة الدور الهام فى بلورة حضارة الشعوب ومظاهر ثقافتها، وأداة التعبير ومرآة الوعى ورمز الوحدة وأداة الاتصال والارتباط بالتراث الثقافى والتاريخ الاجتماعى.

والأمة التى تفرط فى لغتها، هى التى تنتحر تاريخيًا وتتمزق ثقافيًا وتعجز عن الصمود فى مواجهة الآخر حضاريًا.

ويأتى غياب اللغة الفصحى فى مجتمعنا من ناحية، واستشراء سرطان استخدام اللغات الأجنبية فى التعليم، وعلى واجهات المحلات فى الشارع العام من ناحية أخرى، لدلالة على عمق الأزمة الحضارية، التى تنعكس فى صعوبة تواصل الأجيال مع تراثها الحضارى وعدم قدرتها على فهم القرآن الكريم بدرجة أساسية، فى نفس الوقت التى لا تبدى له أنظمة الحكم والقائمون على أمر التعليم والإعلام أية اكتراث!!

وهذا ما يلقى على أبناء العربية والإسلام الغيورين، وعلى أجيال الشباب بصفة خاصة مسئولية كبيرة من أجل مواجهة هذا التحدى الخطير التى تواجهه لغة القرآن فى عقر دارها.

ولقد كانت لغة القرآن هدفًا لضربات أعداء الله فى الشرق والغرب، وعلى يد عملاء لهم من العرب أنفسهم، فضرب اللغة العربية هو

ضرب للقـرآن، ولقد شكك الاستعـمار فى اللغة العربيـة، ونحاها عن التـعليم، وفرض لغـته عـلى أبناء المسلمين، حتـى يستطيع أن يسـيطر ويتنصر. . ويؤكد هذا ما قاله الحاكم الفرنسى للجزائر: (يجب أن نزيل القرآن العـربى من وجودهم، ونقتلع اللـسان العربى من ألسنتـهم حتى ننتصر عليهم)!!

وفى مصـر يصور الأستاذ مـحمود أبو العـيون تصويرًا دقيـقًا الدور الذى قـام به القس دوجـلاس دنلوب المسـتـشـار الإنجليـزى فى وزارة المعارف وكـيف اضطهد مدرسى اللغـة العربية ورجـالها وهاجم لابسى العمائم وحرص على إلغاء كل المقررات والكتب التى كانت تدرس قبل الاحتلال واستبدلها بأخرى تختلف من حيث القضاء على روح الوطنية والرابطة العربيـة توطئة للقـضاء على القرآن، وأشـار لورد «دفرين» فى تقريره عام ١٨٨٢م إلى هذا الاتجـاه فقال: إن أمل التقـدم ضعيف (فى مصر) طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصـيحة العربية -لغة القرآن كما فى الوقت الحاضر.

وكانت قاعدة الاسـتعمار البريطانى فى مصـر هى قول «بلجران» أو «كرومر» أو من تشاء من أساطين الغزو الثقافى إنه: (متى توارى القرآن يمكننا أن نجعل العربى يندرج فى سبـيل الحضارة، وإن القرآن لا يتوارى حتى تتوارى لغته) وقد أكد هذا الخطر فى نظر الاستـعمار كبير المبشرين

د. وزير حين قال: إن اللغة العربية هى الرباط الوثيق الذى يجمع ملايين المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وإنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية من التوحيد أعظم من عقيدة الإسلام الذى اقتحم قارتى آسيا وأفريقيا الواسعتين وبث عقائده وشرائعه وأحكم عروة الارتباط باللغة العربية)[1].

والغريب أن هذه الحرب المتواصلة على اللغة العربية، وهزيمة العرب المسلمين النفسية تجاه لغتهم تتنامى فى نفس الوقت التى تتمتع به لغة القرآن -اللغة العربية الفصحى- بخصائص كثيرة تفوق كل اللغات وهذا ما يجب أن يعيه الشباب من أبناء المسلمين ومنها:

* إن اللغة العربية لغة اشتقاق تقوم على أبواب الفعل الثلاثى والتى لا وجود لها فى جميع اللغات الهندية والجرمانية، وهى اللغات التى تكتب بالحروف اللاتينية، فإذا قابلنا العربية باللغات الاشتقاقية كالإنجليزية والفرنسية نجد أن العربية امتازت بخصائص أكفل بحاجة العلوم، فمن ذلك سعتها فعدد كلمات اللغة الفرنسية ٢٥ ألفًا وكلمات اللغة الإنجليزية مائة ألف، أما العربية فعدد موادها ٤٠٠ ألف مادة، ومعجم لسان العرب يحتوى على ٨٠ ألف مادة (لا كلمة) ومواد اللغة العربية تتفرع إلى كلمات، فإذا فرضنا أن نصف مواد المعجم منصرفة،

(١) أنور الجندى - مقدمات العلوم والمناهج- مجلد: ٤، ص٥- ٩.

بلغ عدد ما يشتق منها نصف مليون كلمة، وليس فى الدنيا لغة اشتقاقية أخرى غنية بكلماتها إلى هذا الحد، وبسبب غنى العربية وسعتها تجد فيها للمعانى الشديدة التقارب كلمات خاصة بكل معنى مهما كانت درجة التفاوت، وبالمقارنة بينها وبين اللغة الإنجليزية التى يتكلم بها معظم سكان العالم الآن فإننا نجد تفوقها فى الأصوات وفى الألفاظ، ففيها ٢٨ حرفًا فى حين أن فى اللغة الإنجليزية ٢٦ حرفًا وليس فى هذه الحروف الثمانية والعشرين حروف تدل على أصوات مكررة، بخلاف حروف الأصوات فى الإنجليزية، وفى اللغة العربية حروف الأصوات لا توجد فى كثير من اللغات الأخرى مثل الحاء والخاء والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف.

* وللغة العربية طريقة عجيبة فى التوليد والاشتقاق، جعلت آخر هذه اللغة يتصل بأولها فى نسيج ملتحق.. بين ما خلفه السلف من تراث على الأجيال بعدهم، فإذا أخذنا مثلاً كلمة «كتب» واشتققنا منها كاتب وكتاب ومكتبة ومكتوب ومكتب وجدنا أن الحروف الأصلية موجودة فى كل كلمة من هذه الكلمات المشتقة، وأن معنى الكتابة موجود كذلك، على عكس اللغات الأوروبية حيث لا توجد فى كثير من الأحيان صلة ما بين كلمات الأسرة الواحدة، فكتب فى الإنجليزية (Write) والكتاب (Book) ومكتبة (Library) ولا علاقة بين حروف

هذه الكلمات، وهذا ما جعل لغة مثل الإنجليزية تختلف من جيل إلى جيل ولا توجد تلك الصلة بين ماضيها وحاضرها.

* إن خزائن المفردات فى اللغة العربية غنية جدًا ويمكن لتلك المفردات أن تزداد بلا نهاية، ذلك أن الاشتقاق يسهل إيجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة بحسب ما يحتاج إليه كل إنسان على نظام معين.

سلَّم: حيّا، ألقى السلام والتحية، وسالم: دخل السلم، أسلم: إنقاد وخضع، ومنها الإسلام: الخضوع لله، تسلم: أخذ شيئًا من يد غيره، السلام والتحية. السلم: بخلاف الحرب، سليم: صحيح، غير مريض. التسليم: الرضا والقبول، الاستلام: لمس الحجر الأسود بالشفة أو اليد (التقبيل). وهناك مسلم ومتسلم ومسالم وغيرها مما يعى على الحصر.

* سعة اللغة العربية بالنسبة لجميع اللغات أمر واضح ويذهب الباحثون إلى أن من يتتبع جميع اللغات لا يجد فيها لغة تضاهى اللغة العربية فى سعتها، ويضاف إلى جمال الصوت ثروتها المدهشة فى المترادفات كما تزينها الدقة ووجازة التعبير، وليس لها ضريب من اليسر فى استعمال المجاز فضلاً عما فيها من كنايات ومجازات واستعارات وهى مع هذه السعة والكثرة أكثر اللغات اختصاراً فى إيصال المعانى وفى النقل إليها..)[1].

(١) أنور الجندى - مقدمات العلوم والمناهج- مجلد ٤، ص: ٥- ٩.

إن السبيل الوحيد لبناء المسلم الحقيقى على الأرض هو إتقانه للغة الإسلام، اللغة الإسلامية حقًا لقد نص -تعالى- فى كتابه الكريم: ﴿قُرآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] و﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وهما نصان صريحان على أنه -تعالى- قد ألقى مسئولية حمل الرسالة إلى البشر على كواهل أصحاب هذه اللغة الشريفة، وإنها لشريفة ما دام الله قد شرفها بأن اختارها، لأول مرة ولآخر مرة، ليخاطب بها البشر عبر كتاب معجز حوى نصوصًا حرفية من كلامه -جل جلاله-، توجه بها إلى الناس معلنًا لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وواضعًا لدنياهم ولآخرتهم القواعد والأسس التى تصلح أن يستقيموا عليها إلى الأبد.

يقول أبو منصور الثعالبى: (أن من أحب الله أحب رسوله المصطفى ﷺ، ومن أحب النبى العربى أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التى نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب)، ويروى عن الإمام الشافعى قوله: (فعلى كل مسلم أن يتعلم لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، ويتلوا به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد، وغير ذلك، ومهما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه له).



وهذا وقد كـرَّه الشافعى لمن يعرف الـعربية أن يسمى بغـيرها، وأن يتكلم بها خالطًا لهـا بالعجمية، وهذا الذى ذكره وقـاله الأئمة الأربعة مأثورًا عن الصحابة والتابعين.

ومن المعلوم أن اعتـياد اللغة يؤثر فى العقل والخلق والدين تأثـيرًا قويًا وفى مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وأيضًا فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتهـا فرض واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وأخيراً:

فإن أمام الشباب من أبناء هذه الأمة مسـئولية عظيمة تجاه الدفاع عن «العربيـة» وعن إعادة مكانتـها فى قلب جـمهـورها، وفى جعلهـا لغة العلوم والحضـارة، حماية «لغة القـرآن»، وذودًا عن الدين، وذلك بعد إتقان تعلمها وإتقان التحدث بها.

كما أن أمامهم دورًا أكبر وأكثر فاعلية أمام هؤلاء الذين خذلوها من أبناء العـروبة فى سـاحات الـعلم والتعـليم والتجـارة والإعـلام، أقلّه المقاطعة، لهـؤلاء الذين نعت اللغة العربية حظهـا بينهم، ومنذ ما يربو على القرن، وكما عبر عن ذلك أيما تعبير شاعر النيل حافظ إبراهيم فى قصـيدته التاريخيـة المعبرة حيث يقـول على لسان اللغة العـربية: إننى عدت إلى نفسى وفكرت فـيما آل إليه أمرى، فـأسأت الظن بمقدرتى،

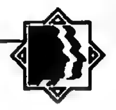
وكـدت أصدق مـا رمـونى به من القـصـور، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجد منهم سميعًا، فادخرت حياتى عند الله:

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى[1] | وناديت قومى فاحتـسبت حياتى
رمونى بعقم فى الشـباب وليتنى | عقـمت فلم أجزع لقـول عداتى
ولدت ولما لم أجد لـعرائسى[2] | رجـالاً وأكـفـاء وأدت بناتى
وسعت كـتاب الله لفظًـا وغاية | ومـا ضـقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة | وتنسـيق أسـمـاء لمختـرعـات
أنا البحر فى أحـشائه الدّر كامن | فهل سألوا الغواص عن صدفاتى
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنى | ومنكم وإن عــز الدواء أسـاتى
فــلا تكلونى للـزمـان فـإننى | أخـاف عليكـم أن تحين وفـاتى
أرى لرجال الـغرب عزًا ومنـعة | وكم عــز أقـوام بعـزّ لـغـات
أتوا أهلهـم بالمعـجـزات تـفننًا | فـيـالـيـتكم تأتون بالـكلمـات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب[3] | ينادى بوأدى فى ربـيع حـيـاتى

(١) الحصاة: الرأى والعقل.

(٢) يريد «بالعرائس»: الألفاظ المجلوة الحسنة.

(٣) الناعب: المصوت بما هو مستكره.



ولو تزجرون الطير يـومًا علمتم ... بما تحته من عـشـرة وشتـات[1]

سقى الله فى بطن الجزيرة أعظما ... يعـز عليـهـا أن تلين قـناتى

حفظن ودادى فى البلى وحفظته ... لهن بـقلب دائم الحـسـرات

وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق ... حـيـاء بتلك الأعظم النخـرات

أرى كل يوم بالجـرائـد مـزلقـا ... من القـبـر يدنينى بغـيـر أناة

وأسمع للكتاب فى مـصر ضجة ... فـأعلـم أن الصـائحين نـعـاتى

أيهجرنى قـومى -عفا الله عنهم ... إلى لـغـة لم تـتـصـل برواة

سرت لوثة الإفـرنج فيهـا سرى ... لعاب الأفـاعى فى مسـيل فرات

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مـشكَّـلة الألوان مـخـتـلفـات

إلى معشر الكتَّاب والجمع حافل ... بسطت رجائى بعد بسط شكاتى

فإما حـياة تبعث الميت فى البلى ... وتنبت فى تلك الرموس رفاتى[2]

وإمـا ممات لا قـيـامـة بعـده ... ممات لعـمـرى لم يقس بممـات

****

(١) تزجرون الطير: يريد أن يقول: لو استنبأتم الغيب بزجـر الطير، كما كان يفعل العرب، لعلمتم ما يجر دفنى عليكم من السقوط والانحلال.

(٢) الرموس: القبور، مفردها: رمس.

الانتماء

أ- أمة الشهادة:

قال -تعالى-:

* ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

* ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

قبسات من نور الوحي:

ينتمي المسلم حيث وجد، إلى أمة خاصة، ذات طبيعة خاصة وذو خصائص متميزة منها:

أ- أنها أمة الشهادة والوسطية.



ب- أنها أمة ربانية.

ج- ذات تفرد اجتماعى.

د- ذات شريعة مهيمنة.

هـ- مجتمع دار الإسلام.

و- أمة لها رسالة.

وسنعرض أولاً لمعالم أمة الشهادة، ولماذا اختصت وتشرفت بهذه السمة عن غيرها من الأمم؟

يقول صاحب الظلال معلقًا على قوله -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

(إنها الأمة الوسط، التى تشهد على الناس جميعًا، فتقيم بينهم العدل والقسط؛ وتضع لهم الموازين والقيم؛ وتبدى فيهم رأيها فيكون هو الرأى المعتمد؛ وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل فى أمرها، وتقول: هذا حق وهذا باطل، لا تتلقى من الناس تصوراتها وقيمها وموازينها، وهى شهيدة على الناس، وفى مقام الحكم العدل بينهم.. وبينما هى تشهد على الناس هكذا، فإن الرسول ﷺ هو الذى يشهد عليها؛ فيقرر لها موازينها وقيمها؛ ويحكم على أعمالها وتقاليدها؛ ويزن ما يصدر عنها، ويقول فيه الكلمة الأخيرة.. وبهذا



تتحدد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها لتعـرفها، ولتشعر بضخامتها، ولتقدر دورها حق قدره، وتستعد له استعدادًا لائقًا.

وإنها الأمة الوسط بكل معـانى الوسط سواء بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعـتـدال والقـصد، أو مـن الوسط بمعناه المادى الحسى.

«أمة وسطًا» فى التصور والاعتقاد.. لا تغلو فى التجرد الروحى ولا فى الارتكاس المادى، إنما تتبع الفطرة الممثلة فى روح متلبس بجسد، أو جـسد تتـلبس به روح، وتعطى لهـذا الكيـان المزدوج الطاقـات حقـه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها فى الوقت الذى تعمل فيـه على حفظ الحياة وامـتدادها، وتطلق كل نشاط فى عـالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، فى قصد وتناسق واعتدال.

«أمة وسطـا».. فى التفكيـر والشعور.. لا تجـمد على مـا علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة.. ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القـردة المضـحك.. إنما تسـتـمـسك بما لديهـا من تصـورات ومناهج وأصول؛ ثم تنـظر فى كل نتاج للفكر والتـجريب؛ وشعـارها الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، فى تثبت ويقين.

«أمة وسطًا».. فى التنظيم والتنسيق.. لا تدع الحياة كلها للمشاعر، والضمـائر، ولا تدعهـا كذلك للتشـريع والتأديب، وإنما ترفع ضـمائر



البشـر بالتوجيـه والتهذيب، تكفل نظام المجـتمع بالتشـريع والتأديب، وتزاوج بين هـذه وتلك، فـلا تكـل الناس إلى سـوط الـسلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحى الوجدان... ولكن مزاج من هذا وذاك.

«أمة وسطا» فى الارتباطات والـعلاقات.. لا تلغى شخصـية الفرد ومقوماته، ولا تلاشى شـخصيته فى شخصيـة الجماعة أو الدولة؛ ولا تطلقـه كـذلك فردًا أثرًا جـشـعًا لا هـم له إلا ذاته... إنما تطلق من الدوافع والطاقـات ما يـؤدى إلى الحركـة والنمـاء، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحـقق شخصية الفرد وكـيانه، ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد فى خدمة الجماعة، وتقـرر من التكاليف والواجبـات ما يجـعل الفرد خـادمًا للـجمـاعة، والجماعة كافلة للفرد فى تناسق واتساق.

«أمة وسطا».. فى المكان.. فى سرة الأرض، وفى أوسط بقـاعها، وما تزال هذه الأمة التى غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة هى الأمة التى تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب، وجنوب وشمال، وماتزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعا، وتشهد على الناس جميعًا، وتعطى ما عندها لأهل الأرض قاطبة، وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك، وتتـحكم فى هذه الحركة مـاديها ومـعنويها على السواء.



«أمة وسطا».. فى الزمان.. تنهى عهد الطفولة البشرية من قبلها، وتحرس عهد الرشد العقلى من بعدها، وتقف فى الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها، وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى، وتزاوج بين تراثها الروحى من عهود الرسالات، ورصيدها العقلى المستمر فى النماء، وتسير بها على الصراط السوى بين هذا وذاك.

وما يعوق هذه الأمة عن أن تأخذ مكانها هذا الذى وهبه الله لها، إلا أنها تخلت عن منهج الله الذى اختاره لها، واتخذت لها مناهج مختلفة ليست هى التى اختارها الله لها، واصطبغت بصبغات شتى ليست صبغة الله واحدة منها! والله يريد لها أن تصطبغ بصبغته وحدها.

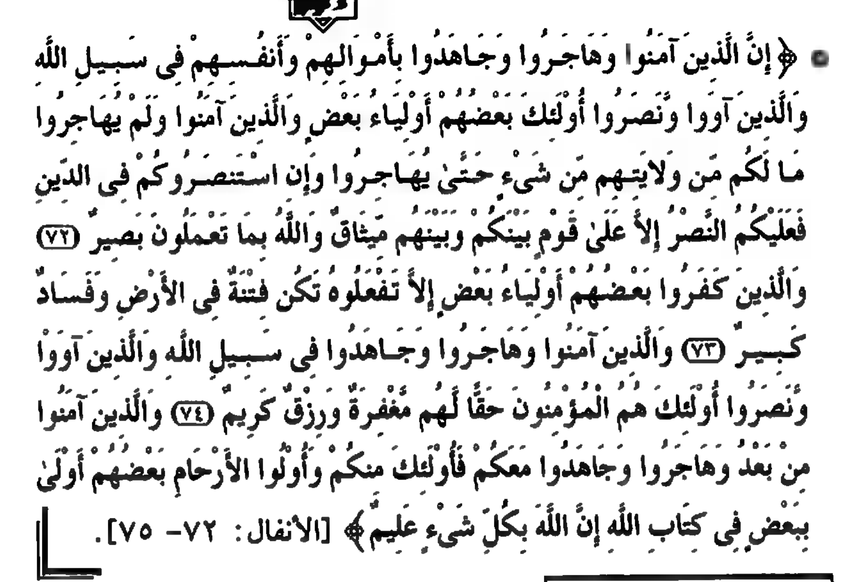
وأمة تلك وظيفتها، وذلك دورها، خليقة بأن تحتمل التبعة وتبذل التضحية، فللقيادة تكاليفها، وللقوامة تبعاتها، ولابد أن تفتن قبل ذلك وتبتلى، ليتأكد خلوصها لله وتجردها، واستعدادها للطاعة المطلقة للقيادة الراشدة)[1].

ب- أمة ربانية

قال -تعالى-:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) الظلال: ج١، ص ١٣٠ - ١٣٢.



﴿ إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَالَّذينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا
مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ
فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)
وَالَّذينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذينَ آوَوا
وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذينَ آمَنُوا
مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ
بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢- ٧٥].

قبسات من نور الوحى:

الإسلام يؤمن بالمجتمع كضرورة حتى يحتوى الفرد المسلم والجماعة المسلمة، أو يفترض قيام مجتمع حتى يكون تجسيدًا لشريعة الله ومنهجه من جهة، وحتى يكون من جهة أخرى مناخًا حتى يتمكن الإنسان من تحقيق مهمة استخلاف الله له فى الأرض.

فالمجتمع الإسلامى مجتمع يهيئ للفرد المسلم وسطًا طبيعيًا يتيح له إشباع مختلف حاجاته الطبيعية وبطريقة مشروعة، غير مدفوعًا بسلطان نزوة ولا بنشوة غريزة، مجتمع يمكّن إنسانه من الحصول على حقوقه من خلال حرصه على حقوق الآخرين.

كما أن قيام «أمة المؤمنين» كان ضرورة لعدة أسباب منها:

١- تجسيد الإيمان فى «جنسيــة» مميزة و«هوية» خاصة، وفى حضارة إسلامــية، لها ثقافــاتها ونظمهــا الاجتمــاعية، وتطبيــقاتها فى مــيادين السلوك والقيم، والعادات والتقاليد، الممتدة عبر الزمان والمكان، ولذلك وصفت الآية بأن أفراد «الأمة المسلمة» المجاهدين المتآوين المتناصرين فى مهجر واحد «هم المؤمنون حقًا».

أما الأقليات الإسلامية المبــعثرة هنا وهناك فهذه لا تدخل فى وصف «المؤمنون حقًا» لأنها لا تتمكن من أن تعيش إيمانها فى «جنسية متميزة» وتطبيقات اجتماعــية لها ثقافتها ولغتها ونظمها الاجتــماعية والاقتصادية والتربوية، ولها قيــمها وعاداتها وتقاليدها وأخلاقــها، وبالتالى لا تفرز حضارة متمــيزة تنحدر عبر التاريخ، وتشد إليهــا الرحال، ليتعلم الناس فى مؤسساتها التربوية والإدارية كيفية الحفاظ على النوع البشرى ورقيه، وإنما تذهب جهود هذه الأقلــيات هدرًا فى روافد «أمة غيــر مسلمة» ثم تذوب وتختفى بعد جيل أو جيلين.

٢- الازدهار الاقتصادى المصحوب بالتــماسك الاجتماعى، والعلاقات الكريمــة بين طبقات الأمــة وأفرادها، والمحــافظة على كرامــة الأمة وعلى قيــمها وأخلاقــها فى الداخل، وسمــعتها الــتاريخية فى الخــارج، فـ«الأمة المؤمنة»، رزقهــا «رزق كريم» يحــفظ كرامات الأفــراد رجالاً ونســاءًا، فلا تضطرهم لقــمــة العيش إلى الــتفــريط بكرامــاتهم وحرمــاتهم وإلى تجــارة



الفواحش والمنكرات. وهو «رزق كريم» يحفظ كرامة الأمة التاريخية فلا يلطخ سمعتها، ويصمها بعار الغزو والاستعمار والتسلط والاحتلال، وهو يحفظ كرامتها الحضارية، فلا يضطرهم إلى ممارسة الفضائح ونقض المواثيق، والتآمر على الأصدقاء، وإيثار المنافع المادية على علاقات الرقى الحضارى.

وهو «رزق كريم» يحفظ كرامة الأمة الاجتماعية، فلا تحتاج إلى تقدمة أعراضها ونسائها كراقصات، ومغنيات وغوان فى أماكن اللهو والفاحشة لتجلب السائحين وطالبى المتع المحرمة الضارة.

وأخيرًا: هو «رزق كريم» يحفظ للأمة المسلمة كرامتها عند الله، ويمنحها كرامة الدرجات العلى فى الآخرة، سواء فى المنزلة أو المأوى.

٣- منع الضرر الناتج عن انفراد هيمنة «أمة الكفر» فى الأرض، الذين لا يمارسون كفرهم متفرقين وإنما يوالون بعضهم بعضًا وينتظمهم كيان واحد «أمة الكفر»، والذى سيتسبب عن انفرادهم بالقيادة العالمية انتشار الفساد والفتن الكثيرة فى ميادين السياسة والاجتماع والأخلاق»[1].

ج- التفرد الاجتماعى:

قال -تعالى-:

* ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

* ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) د. ماجد عرسان: إخراج الأمة المسلمة ص، ٢٩- ٣١ مع بعض التصرف.



نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٥- ١١٦].

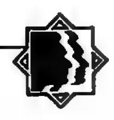
* ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

* ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

* ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٦].

* ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

[التوبة: ١٠٥].



وقال رسول الله ﷺ:

٨- في خطبة الوداع: «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟اللهم فأشهد، ألا فليبلغ الشاهد الغائب» سيرة ابن هشام.

٩- «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وخير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».

صحيح، رواه أحمد والترمذي والحاكم عن عبد الله ابن عمرو صحيح الجامع: ٣٢٧٠.

١٠- «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته؛ الرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في بيت سيده ومسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» متفق عليه.

قبسات من نور الوحي:

ويأتي تفرد المجتمع الإسلامي من حيث الخصائص والمميزات وحيث إرادة النشأة والتكوين.

أما من حيث إرادة التكوين، فلم توجده إرادة بشرية وإنما أوجدته إرادة الله -تعالى- وصنعته شريعة خاصة لم تخضع لمراحل التطور التاريخى التى نشأت فى رحابها النظريات البشرية.

ومن هنا فإنه ينهض على أسس أرادها الله لعباده وتضمنت تلك الأسس مختلف صور وأنماط العلاقات والمعاملات والتفاعلات الفردية والجماعية الداخلية أو الخارجية الدولية، وبهذا أقام الإسلام الجماعة الإسلامية أو الأمة الإسلامية حارسة على صراط الله المستقيم المبين للناس، والذى عليهم أن يلتزموا نهجه فى مختلف مساعيهم ومناشطهم وإن كان الإسلام يؤكد بصفة أساسية مسئولية الفرد، ويقدمها على المسئولية الجماعية.

ومن هنا يكمن أساس التجمع والتفرق من خلال المجتمع الإسلامى على أساس العقيدة، ولا يتجمع على أساس القرابة ولا الجنس ولا اللغة ولا الأرض ولا المنافع -عقيدة الإسلام -عن تكوين مجتمع إسلامى تسكنه أمة إسلامية. مع الأخذ فى الإعتبار أن الإسلام لم يجعل الإكراه على العقيدة أساسًا لقيام المجتمع لتأسيس علاقات الناس بعضهم ببعض.

إن أهم ما يتميز به المسلم أنه:

١- مجتمع مؤمن: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥].

٢- مجتمع قيمى: قائم على نسق قيمى متكامل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].



٣- مجتمع متـماسك ومتضامن: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

٤- مجتمع متمايز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

٥- مجتمع عادل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

٦- مجتـمع حر: «وهى حـرية متعددة الجـوانب، سياسـية وفكرية.. إلخ»: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: ٧٥].

٧- مجتمع مسئول: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

د- سياج الشريعة:

قال تعالى:

* ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].



* ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

* ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩- ٥٠].

* ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

* ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

* ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾]النساء: ٨٣].



١١- وقال ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله» رواه الإمام مالك فى الموطأ.

قبسات من نور الوحى:

لقد وقف المفسرون طويلاً عند كلمة ﴿أُخْرِجَتْ﴾ فى قوله -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، لدلالتها على حقيقة نشأة مجتمع الإسلام وأمته، وعلى ربانية النظام الذى يعتمد عليه وجود كل من المجتمع والأمة.

فلا المجتمع الإسلامى، ولا الأمة الإسلامية أخرجت نفسها وفق نموذج نابع من تصورات عقلية لفلاسفتها أو قادتها أو ولاة أمور فيها، وإنما هناك مخرج لذلك المجتمع ولتلك الأمة أرادت مشيئته -تعالى- أن تحكم ذلك المجتمع وتلك الأمة مجموعة من القواعد المتضمنة فى الشريعة الإسلامية.

وفى صورة كلية ثابتة أحيانًا، وخاصة ما اتصل منها بالعبادات وما يلحق بها من الأحوال الشخصية والمواريث وبعض العقوبات حيث جاءت أحكامها مفصلة فى القرآن، أو مستكملاً تفصيلها فى السنة الشريفة كما فى الصلاة، والزكاة وبعض أحكام الصوم والحج، وذلك باعتبار أن أكثر هذه الأحكام تعبدى، لا مجال للعقل فيه ولا يتطور بتطور البيئات، أو تؤثر فيه الأعراف والعادات.

وفى صورة جزئية ديناميكية فى أحيان كثيرة لاسيما ما اتصل منها بالمعاملات اليومية والسلوك، كالأحكام المدنية والدستورية والجنائية والإدارية والاقتصادية والدولية فقد جاءت فى قواعد وأصول عامة، ومبادئ أساسية، ولم تتعرض نصوصها لتفصيلات جزئية إلا فى القليل النادر، لأن هذه الأحكام تتطور بتطور المصالح والبيئات، حتى تتواءم تلك الشريعة مع الظروف المتغيرة للمجتمعات البشرية فى كل زمان وكل مكان بغير تعارض أو خروج على نص فيه منع أو إباحة.

ومن هنا تمثل الشريعة الإسلامية -قرآنًا وسنة- سياجًا يحيط بالمجتمع الإسلامى ويحميه، ولا يشكل -فى نفس الوقت- قيدًا على تطوره ونموه.

وتعتبر أحكام الشريعة إما إلهية المصدر أو معتبرة كذلك تبعًا للمصدر والمرجع؛ حيث يعتبر: (ما سنَّه الله -سبحانه- فى القرآن، أو أَلْهَمه رسول الله ﷺ أو أقره عليه إذا كان باجتهاد منه يعتبر تشريعًا إلهيًا خالصًا.

أما ما كان من قواعد وقوانين سنّها المجتهدون من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين والأئمة المجتهدين استنباطًا من نصوص الشريعة الإلهية، وروحها ومعقولها وما أرشدت إليه من مصادر، فهذه تعتبر تشريعًا وضعيًا باعتبار جهود المجتهدين فى استمدادها واستنباطها، وإن كانت باعتبار مرجعها ومصدرها تعتبر من التشريع الإلهى..)[1].

(١) جاد الحق على جاد الحق، الفقه الإسلامى نشأته وتطوره، ص ٢٠٢.

أما أهم ما تتميز به الشريعة الإسلامية من خصائص:

١- اتساق أحكام الشريعة الإسلامية مع الفطرة البشرية.

٢- شمول الشريعة لمختلف الاحتياجات المجتمعية: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٣- كلية المبادئ التى أوردتها الشريعة الإسلامية وعموميتها.

٤- ثبات الشريعة الإسلامية واستمراريتها: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف: ١٥٨].

٥- ارتكازها على اليسر لا العسر: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

هـ- مجتمع دار الإسلام:

قال- تعالى-:

* ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

* ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].



* ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠- ٤١].

وقال رسول الله ﷺ:

١٢- «ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل إلى عصبية وليس منا من مات على عصبية» رواه أبو داود عن جبير بن مطعم وضعفه الألباني.

١٣- «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مشدهم على مضعفهم، ومسرعهم على قاعدهم، لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد فى عهده» حديث حسن رواه أبى داود وابن ماجة عن ابن عمرو.

إذا كانت فكرة الأسلام وعقيدته قد حلت محل فكرة الوطن.. لأن الأرض أرض الله، بالرغم من أن الإسلام ليس ضد فكرة الوطن، كما أن المسلم أعمق الناس وطنية، وأشدهم حبًا لوطنه، وأعظمهم تفانيًا فى خدمته والذود عن ترابه، وأخلصهم عطاءًا وتجردًا، وآمنهم على مقدراته وثرواته، وأنه كلما أصبح المسلم ملتزمًا، ووجد التدين بصدق، فثم مصلحة الوطن، وإنما الإسلام ضد فكرة أن يقوم ذلك الوطن على الأسس المفرقة للناس كالجنس والعنصرية، وكما يقول الشاعر:



ولست أدرى سوى الإسلام لى وطنًا الشام فيه ووادى النيل سيان

وكلما ذكر اسم الله فى بلد عددت أرجاءه من لب أوطانى

ولقد اعتبرت -فى المقابل- دار الإسلام هى محتوى للمجتمع الإسلامى، حيث تمتد هذه الدار بامتداد الأرض التى يسيطر عليها المسلمون وتحكمها الشريعة الإسلامية سواء أكان سكان تلك الأرض جميعًا من المسلمين أم توجد إلى جوارهم أقلية غير مسلمة.

ومن هنا كانت قناعة المنتمين للمجتمع الإسلامى بأنهم على الرغم من تباعدهم المكانى أبناء وطن واحد، وهم أخوة فى الله متساوون، ولا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض أو أحمر على أسود إلا بالتقوى، والتقوى هى كل عمل صالح تستقيم به الحياة الدنيا ويستوى به ميزان الفرد فى الدار الآخرة.

ولقد حددت الشريعة الإسلامية طبيعة العلاقة بين المجتمع الإسلامى وغيره من المجتمعات على النحو التالى[1]:

أ- دار الإسلام إما أن تكون على عهد وميثاق مع غيرها من المجتمعات، وحينئذ يكون العهد المرعى والميثاق المحفوظ، لا غدر فيه ولا خيانة ولا مباغتة حتى ينقضى ذلك الميثاق أو ينقضه الآخرون.

ب- وإما أن يكون هناك اتفاق غير مكتوب على الأمان وعدم

(١) إخراج الأمة المسلمة: مرجع سابق.

العدوان بغير معاهدة أو ميثاق، فالوداعة قائمة ومرعية حتى ينبذها الآخرون أو تبدو منهم نذر غدر أو خيانة.

ج- وإما أن تكون هى الحرب، وللحرب فى الإسلام أهداف وقواعد لها قيود وضمانات.

إذن العلاقة بين المجتمع الإسلامى وغيره من المجتمعات هى فى الأصل علاقة سلام، لأن فكرة السلام فى الإسلام أصيلة فيه، إلا إذا اضطر المجتمع الإسلامى للحرب للدفاع عن كيانه ومصالحه من خلال اتخاذ كل السبل المشروعة التى تكفل له النصر، وإذا ظهرت بوادر حقيقية للسلام فإن المسلمين مأمورون بالجنوح للسلم والدخول فيه.

كما أنه يجب الإشارة إلى أن علماء المسلمين عمدوا إلى هذا التقسيم بفعل الواقع العملى الذى كان يعيشه المسلمون، لذلك فإنه قابل للتغير والتبديل، وهو لا يقوم على أساس تغاير الأديان وإنما على أساس الأمن أو الفزع الذى يلاقيه المسلم فى هذه الدولة أو تلك[1]:

و- أمة لها رسالة:

قال -تعالى-:

* ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) انظر، فصل: العلاقة مع الآخر.



* ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

قبسات من نور الوحى:

ومن أهم خصائص أمة الإسلام أنها ذات رسالة ارتبطت بتكوينها وبعثها، وإذا ما انتفت هذه الرسالة، انتفى وجود الأمة!

وتنقسم محتويات الرسالة إلى ثلاثة أقسام رئيسية هى(١):

١- **الإيمان بالله**، وثمرة هذا الإيمان تحرر الإنسان من طغيان الآلهة المدعاة، وإطلاق قدراته العقلية والنفسية والجسدية لاستعمالها فى تسخير الكون دون عائق من رهبة أو رغبة.

٢- **الأمر بالمعروف**، والمعروف الذى تشير إليه الآية، اسم جامع لكل ما ينفع الجنس البشرى ويرتقى بسلوكهم والعلاقات المتبادلة بينهم.

٣- **النهى عن المنكر**، ومحور التحذير من الاصطدام بسنن الله وأقداره وقوانينه فى الوجود القائم لأن فى هذا الاصطدام تدمير لبقاء الإنسان وسقوطه فى الدنيا والآخرة.

---

(١) إخراج الأمة المسلمة: مرجع سابق.

وهذه العناصر الثلاثة الرئيسية التى تتكون منها الرسالة متضمنة فى قوله -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولقد شرح الصحابى الجليل أبو هريرة -رضى الله عنه- هذه الآية فقال:

«كنتم خير الناس للناس تأتون بهم فى الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة يبذل المسلمون أموالهم وأنفسهم فى الجهاد لنفع الناس، فهم خير الأمم للخلق، والخلق عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله».

وللرسالة أهمية فى وجود الأمة:

- فهى تحفظ وحدتها، وتجنب مجتمعها من الانقسام والتفتت والحزبية والطائفية والتصارع من أجل المصالح والعصبيات المحدودة.

ولقد علق ابن تيمية على قوله -تعالى-: ﴿إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩]..

بقوله: «قد يكون العذاب من عنده، وقد يكون بأيد العباد، فإذا ترك الناس الجهاد فى سبيل الله، فقد يبتليهم بأن يوقع بينهم العداوة، حتى تقع بينهم الفتنة كما هو واقع، فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد فى سبيل الله، جمع الله قلوبهم وألف بينهم، وجعل بأسهم على عدوهم وعدو الله، وإذا لم ينفروا فى سبيل الله عذبهم بأن يلبسهم شيعًا، ويذيق بعضهم بأس بعض».



* كما أن مكانة الأمة بين الأمم على المستوى العالمى، يتقرر بمقدار ما تقدمه من عطاء حضارى للآخرين، وهذا العطاء هو الرسالة التى تحملها الأمة بين الأمم الأخرى.

* وإن هذا العطاء الحضارى هو الضامن لبقاء الأمم واستمرارها، ذلك أن الأمة التى تتوقف عن العطاء تبدأ بالأخذ، والأخذ الذى لا يرافقه عطاء متبادل سبب من أسباب الذوبان وفناء الأمم، ولكنه فناء بطىء.. يتم على مراحل.. كما يرى العارفون بقوانين الاجتماع.

ففى المرحلة الأولى: تأخذ الأمة الأشياء المادية كالمنتجات الصناعية والحربية.

وفى المرحلة الثانية: تأخذ الأمة الأشكال المادية، كأشكال اللباس والأثاث وأشكال الطعام.

وفى المرحلة الثالثة: تأخذ الأمة المظاهر الثقافية، كاللغات ونظم الإدارة والنظم الدبلوماسية والعلاقات الاجتماعية والفنون وأشكال الترويح.

وفى المرحلة الرابعة: تأخذ الأمة القيم والمقاييس الاجتماعية والأخلاقية.

وفى المرحلة الخامسة: تأخذ الأمة العقائد، وعند هذه المرحلة تنهار جميع الحواجز ويبدأ الذوبان الكامل.

الوطن

١٤- قال رسول الله ﷺ، وهو يفارق مسقط رأسه مكة مهاجرًا: **«والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله، وأحب بلاد الله إلىَّ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت»** وقال أيضًا: **«ما أطيبك من بلد وأحبك إلىَّ، لولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك»**، رواه الترمذى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس (حديث صحيح) صحيح الجامع ٥٥٣٦:

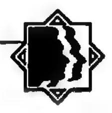
١٥- حينما قدم الصحابى الجليل أصيل بن عبد الله الهذلى من مكة إلى المدينة. فسأله الرسول ﷺ: **«يا أصيل كيف عهدت مكة»**؟ فقال: عهدتها قد أخصب جنابها، وابيضت بطحاؤها، وأعذق إذخرها، وأسلب ثمامها، وأمشر سلمها، فقال الرسول ﷺ: **«حسبك يا أصيل! دع القلوب تقر لا تحزنًا»**.

ابن الأثير: أسد الغابة فى معرفة الصحابة: ترجمة الصحابى: أصيل.

إضاءة على المعنى:

(الإذخر): نبات حجازى.

(وأعذق): صارت له أفنان.



(وأسلب): صار له خوص.

(الثمام): نبت حجازى.

(وأمشر سلمها): أى أورق.

قبسات من نور الوحى:

الوطن كما عرّفه أمير الشعراء أحمد شوقى:

(الوطن موضع الميلاد، ومجمع أوطار الفؤاد، ومضجع الآباء والأجداد، الدنيا الصغرى، وعتبة الدار الأخرى، الموروث الوارث، الزائل من حارث إلى حارث، مؤسس لبان، وغارس لجان، وحى من فان).

وحب الوطن من الإيمان حتى وإن جار، وحتى وإن اضطره القوم أن يهاجر منه، كما عبر الحبيب المصطفى فى مقالته الإنسانية الخالدة والتى تعكس غربة المؤمن. وهنا يسجل الشاعر العربى هذه الأصالة النفسية الكامنة فى القلب مهما ضن أهله فيقول:

بلادى وإن جارت علىَّ عزيزة وأهلى وإن ضنوا علىّ كرام

فالإيمان مع الفطرة البشرية التى تفيض بذلك الحب لموطن النشأة ولمراتع الصبا والشباب وكما يسجل ذلك الشاعر العباسى «ابن الرومى»، دواعى ذلك الحب وأسباب التعلق:

ولى وطن آليت ألا أبيعه   ولا أرى غيرى له الدهر مالكا
عمرت به شرخ الشباب منعما   بصحبة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم   مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم   عهود الصبا فيها فحنوا لذاكا
فقد ألفته النفس حتى كأنه   لها جسد إن بان غودر هالكا

الوطنية الإسلامية:

ماذا يعنى الوطن فى عرف المسلم، وهل ثمة تناقض بين مصلحة الدين ومصلحة الوطن، وماذا يتميز المسلم بقناعته حول «الوطنية» وبين أنصار المذهب الشعوبى المستورد من الغرب حول مفهوم الوطنية، وما هى نقاط الاتفاق والاختلاف؟

وطنية الحنين:

فالإسلام لا يصطدم مع الشعور الفطرى، فى حب الأرض التى ترعرع عليه الإنسان، وشدة الحنين إليها والانجذاب، بل إن الإسلام مأمور بذلك، وهذا بلال الذى ضحى بكل شىء فى سبيل عقيدته ودينه هو بلال الذى كان يهتف فى دار الهجرة بالحنين إلى مكة فى أبيات تسيل رقة وتقطر حلاوة.



ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يومًا مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

وعندما سمع رسول الله -ﷺ- وصف مكة من «أصيل» فجرى دمعه حنينًا إليها وقال: «يا أصيل دع القلوب تستقر».

وطنية العزة والنماء:

والإسلام يلتقى بل ويحفز الشعور بالواجب والغيرة على الوطن ضد كل أشكال الاستعمار والتبعية والتخلف، وبذل كل غال ورخيص من أجل أن ينال الوطن حريته واستقلاله وعزته ورفعته وتقدمه بين الأمم، لا حبًا فى الشعارات ولكن عن إخلاص وعقيدة وإيمان بآيات كتابه الكريم: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١]، وكما يرى المسلم أنه يجب عليه أن يكون فى مقدمة الصفوف التى تذود عن حدود الوطن وحياضه، هو نفسه يعتقد أنه يجب عليه أن يكون فى مقدمة الصفوف التى تقود معارك التنمية والإعمار، والمسلم فى قناعته هذا يزيد وطنية على من يقصرون مفهوم التحرير والاستقلال على الاستقلال العسكرى فقط، بل يدعو إلى التحرر من كافة أشكال الاستعمار الأخرى وخاصة الفكرى ومن التبعية الاقتصادية.



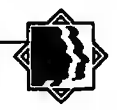
وطنية المجتمع:

والمسلم يلتقى، بل ويحفز على الوطنية بالمفهوم الاجتماعى، من خلال الحرص على دعم الروابط بين أفراد المجتمع، وعلى تقوية شبكة العلاقات الاجتماعية والسلام الاجتماعى، كما يدعم روابط الرحم ومشاعر الجوار، حتى وإن اختلف الدين، ويدعو إلى القسط والعدل بين جميع أفراد المجتمع فى الحقوق والواجبات.

وأخيرًا فإن حدود الوطنية مرتبطة هنا بالعقيدة، وعلى العكس من دعاة الوطنية العلمانية أو المجردة والتى يرونها تنتهى بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية، فكل بقعة فيها مسلم يقول «لا إله إلا الله محمدًا رسول الله» وطن للمسلم له حرمته وقداسته وحبه والإخلاص له والجهاد فى سبيل خيره ولأهله كامل حقوق الأخوة.

الوطنية العلمانية:

وهى القائمة على فرض النموذج العلمانى الغربى على الدولة والمجتمع، وعلى غير إرادة منه، وتعنى العلمانية: اللادينية أو الدنيوية وهى دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وهى دعوة نشأت فى الغرب تحت ضغط تحول رجال الدين إلى طواغيت ومحترفين سياسيين ومستبدين تحت ستار الإكليروس والرهبانية والعشاء الربانى وبيع صكوك الغفران، ووقوف الكنيسة ضد العلم وهيمنتها على الفكر وتشكيلها



لمحاكم التفتيش واتهام العلماء بالهرطقة.. وإذا كان هناك عذر ما لوجود العلمانية فى الغرب فليس هناك أى عذر لوجودها فى الشرق[1].

وأهم المعتقدات العلمانية فى العالم الإسلامى والعربى التى انتشرت بفضل الاستعمار والتبشير فهى:

- الطعن فى حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة..

- الزعم بأن الإسلام استنفذ أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية.

- الزعم بأن الفقه الإسلامى مأخوذ عن القانون الرومانى.

- الزعم بأن الإسلام لا يتلائم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف.

- الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربى.

- تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم الحركات الهدامة فى التاريخ الإسلامى والزعم بأنها حركات إصلاح.

- إحياء الحضارات القديمة كالفرعونية.

- اقتباس النظم والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها.

(١) انظر الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامى بالرياض ص ٣٦٥.



- تربية الأجيال تربية غير دينية.

أما أبرز دعاة العلمانية فى العالم العربى الإسلامى:

أحمد لطفى السيد، إسماعيل مظهر، قاسم أمين، طه حسين، عبد العزيز فهمى، ميشيل عفلق، مصطفى كمال أتاتورك، أنطوان سعادة، سوكارنو وسوهارتو، جمال عبد الناصر، أنور السادات)[١]، وكل من يرفعون شعار التنوير فى الوقت الحالى.

وخلاصة الوطنية العلمانية التى تتعارض مع الإسلام قلبًا وقالبًا أنها ترتكز على عزل الإسلام عن الحياة والدولة، وإقصاء العمل الإسلامى والمؤسسات الإسلامية عن العمل السياسى إلا فى إطار تنفيذ سياسات الحكم، والعمل على تفكيك وتقييد المؤسسات الإسلامية التقليدية والشعبية، وإلغاء هيئة كبار العلماء، وتبنى معايير الاحتكام الغربية، وسن التشريعات الوضعية، وترسم الانساق الاجتماعية الغربية، ومحاكاتها، وذلك بعيدًا عن معايير الشرعية الإسلامية ومعايير الاحتكام المتصلة بها، فضلاً على الارتكاز على شعار: الدين لله والوطن للجميع، هادفة من وراء ذلك إقصاء الإسلام عن أن يكون له الوجود الفعلى فى الحياة من ناحية، وجعل أخوة الوطن مقدمة على أخوة الدين

(١) انظر الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامى بالرياض ص٣٦٥.



من ناحية أخرى، وأنت ترى معى أن الإسلام يشجب هذا الانتماء القاصر، وهذه الوطنية المفروضة علينا والمجلوبة إلينا من الغرب.

وأخيراً: فإن «الوطنية» كإحساس وشعور بحرارة الانتماء لا تصنعها الشعارات، أو الأغانى ولكن بعوامل كثيرة ربما أهمها مدى إحساس المواطن بالأمان والحرية وخاصة أن (المواطنون الأحرار- دون غيرهم- هم الذين تتوافر لديهم القدرة على المبادرة والرغبة فى تحقيق صيانة استقلال الوطن؛ لأنه يمثل امتداداً لحريتهم، وهم أيضًا الذين يكثر بينهم من يربطون بين ولائهم لوطنهم وإتقان عملهم، عكس الرعايا المقهورين حيث لا تفلح الأغانى الوطنية -على كثرتها- فى بث الحماس، أو إقناع عدد غير قليل منهم بجدوى العمل ودوره، من أجل مستقبل لا يساهمون فى صنعه، وكيف تتأتى مثل هذه المساهمة إذا كان الإنسان لا يتمتع بحقوقه وحرياته، ولا يمتلك صوتًا مؤثرًا فى إدارة شئون بلاده؟!

وأكثر من ذلك فإن بناء القوة الوطنية يقتضى استعداداً للتضحية يصعب توافره إذا كان الإنسان محبطًا أو يائسًا أو مبعدًا أو مهمشًا، أو غير قادر على قول كلمة يعتقد أنها حق، أو على التصدى لفساد يرى أنه يبدد أى جهد يُبذل، وإذا كان قليل هم الذين يؤدون أعمالهم -كما ينبغى- فى ظل تقييد حرية الإنسان، فمن الطبيعى أن يندر من هم على استعداد للقيام بما يتجاوز أعمالهم، أو أداء أعمال غير عادية دون

مقابل، وليست هناك أمة تحقق النهضة بدون تضحيات، ويستطيع أى حكم مستبد أن يرغم رعاياه على العمل قهرًا تحت شعار مواجهة أعداء الأمة والمتآمرين عليها والساعين إلى سحقها، غير أن عملاً يؤديه المرء -رغمًا عنه- وخوفًا من عقاب ينتظره، أو تحت سيف مسلط على عنقه -ليس مثل العمل الناتج عن اقتناع وحماسة ورغبة حقيقية فى إنجازه حتى إذا كان على حساب مصلحة خاصة لمن يقوم به.

كما أن أى إنجاز قد تحققه تضحيات مفروضة بالقهر ليس مضمونًا الحفاظ عليه واستثماره لمصلحة الدولة والمجتمع من أجل الناس، ففى غياب ديمقراطية تتيح مساءلة الحكام ومحاسبتهم وتغييرهم، كثيرًا ما تتبدد تضحيات شعبية فى مغامرات فردية للحاكم المستبد المنفلت من أى قيد[١].

كما تبقى هناك إشكالية، حين يثير البعض ممن يتسترون تحت عباءة العلمانية، إشكالية أخرى لإعلاء مفهومًا مستحدثًا وهو «المواطنة» وكمحاولة لتهميش وإضعاف الانتماء الإسلامى.

ولذا كان من الأهمية أن نضيف لهذا الفصل هذا الملحق الهام وهو بحث لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوى.

❊❊❊❊

(١) د. وحيد عبد المجيد: «التيار الأساسى فى الوطنية المصرية»، مجلة المنار الجديد عدد: ٦.

ملحق خاص:

إشكالية الوطن والوطنية والمواطنة

د. يوسف القرضاوى

فكرة الانتماء إلى الإسلام وإلى أمة الإسلام، وإلى دار الإسلام التى كانت سائدة فى القرون الماضية منذ عصر النبوة، فعصر الراشدين فعصور العباسيين والعثمانيين: قد لا تكون مقبولة عند غير المسلمين. على أساس أن أصل هذا الانتماء دينى، ينطلق من القرآن والسنة.

هذا مع أن فقهاء المذاهب المختلفة جميعًا، قرروا: أن غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، وهم الذين يعبر عنهم فى الاصطلاح الفقهى بـ (أهل الذمة) يعدون من (أهل دار الإسلام) فهم من (أهل الدار) وإن لم يكونوا من (أهل الملة).

وفى اجتهادى: أن كلمة (أهل الدار) هذه تمثل مفتاحًا للمشكلة، مشكلة المواطنة، لأن معنى أنهم (أهل الدار) أنهم ليسوا غرباء، ولا أجانب، لأن حقيقة معناها: أنهم أهل الوطن، وهل الوطن إلا الدار أو الديار؟

وإذا ثبت أنهم أهل الوطن، فهم (مواطنون) كغيرهم من شركائهم من المسلمين.

وبهذا تحل هذه الإشكاليــة من داخل الفقه الإسلامى، دون الحـاجة إلى استــيراد مفهوم المـواطنة من سوق الفكر الغربى. فإن هذا المـفهوم المستورد قد يحل مشكلة الأقليات الدينية من مسيحية ويهودية ومجوسية ونحوها، ولكنه ينشىء مـشكلة عند المسلم، إذ يفرض عليه الانفـصال عن انتمـائه الدينى، وولائه الدينى، وهو أمر يدخــل فى الفرائض، بل ربما فى العقائد. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٤٤]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣]، ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١]. والظن بأن الدين لم يعد أســاسًا فى حياة الناس، بعــد أن غزته الأفكار العلمانية والليبراليــة والماركسية: ظن غيــر صحــيح، إلا فى القليل من النخب، فمـا زال سلطان الدين قائمًا لدى الجمهور الأعظم من الناس.

فكيف تحل مـشكلة الأقليــة، ونخلق فى الوقت نفــسه مـشكلة عند الأكثرية؟

وما يضير غير المسلم أن يكون مواطنًا فى (دار الإسلام) سواء كانت دار الإسلام الكبرى، التى تشــمل كل ديار الإسلام حين تضمــهم قيادة (خلافة) واحدة أو (دار الإسلام) المحدودة بحدود إقليم أو قطر معين.



ربما يكون الإشكال هنا، هو التخـوف من عدم تطبيق مبـدأ المساواة على الجمـيع، وتمييز المسلم على غـير المسـلم فى مجالات مـعينة، فى حين أن المواطنة تفترض المساواة بين جميع المواطنين.

وهذا التخوف وارد، وله ما يبرره، ولهذا يلزمنا فقهًا: أن نقرر فكرة المساواة بين أبناء دار الإسلام على أساس مبـدأ: لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، ولا تمييز إلا فيما تقتضيه طبيعة الخلاف الدينى.

ولابد من حذف كلمـات ومصطلحات تاريخـية من قاموس التـعامل المعاصر، مثل كلمة (ذمة) و(أهل ذمة) التى لم يعد يقبلها غير المسلمين. فلم يتعبدنـا الله بهذه الكلمات، وقد حذف عمر مـا هو أهم منها، حين اقتضت المصلحة العليا ذلك، فـحذف كلمة (جزية) حين طلب منه ذلك نصارى بنى تغلب، وقـالوا: إننا قوم عرب، ونأنف من كلمـة (جزية)، ونريد أن نأخـذ ما تأخـد منا باسم (الصدقـة)[1]. ورضى منهم ذلك، معتبرا أن العبرة بالمسميات والمضامين لا بالأسماء والعناوين.

---

(١) روى عبد الرزاق فى أهل الكتاب (٦/ ٩٩)، عن زياد بن حدير -وكان زياد يومئذ حيًا- أن عمـر بعثه مصـدقًا، فأمره: أن يأخـذ من نصارى بنى تغلب العشـر، ومن نصارى العرب نصف العشر. وروى البيهقى فى الكبرى كتاب السير (٩/ ٢١٦)، عن عبادة بن النعمـان التغلبى، أنه قـال لعمـر بن الخطاب رضى الله عنه: يا أميـر المؤمنين، إن بنى تغلب من قـد علمت شوكتـهم وإنهم بإزاء العدو، فـإن ظاهروا عليك العدو اشـتدت مؤنتهم، فإن رأيت أن تعطيهم شيئًا. قال: فـافعل. قال: فصالحهم على أن لا يغمسـوا أحدًا من أولادهم فى النصرانيـة، وتضاعف عليهم الصدقة. قال: وكـان عبادة يقول: قد فـعلوا ولا عهـد لهم. وانظر: أحاديث البـاب فى البيـهقى، باب نصـارى العرب تضعف عليهم الصدقة.

الأخوة الوطنية:

بل أقول: إن الاشتراك في الوطن يفرض نوعا من الترابط بين المواطنين بعضهم وبعض، يمكن أن نسميه (الأخوة الوطنية) فكل مواطن أخ لمواطنه، وهذه الأخوة توجب له من حقوق المعاونة والمناصرة والتكافل ما يستلزمه معنى (الأخوة) أي الانتماء إلى أسرة واحدة.

وقد يعترض بعض الإسلاميين من الحرفيين والمتشددين على إطلاق الأخوة خارج الإطار الديني فليس عندهم أخوة إلا أخوة الإيمان، أي الأخوة الدينية، ولا اعتراف بأي أخوة سواها.

ودليلهم على ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله عن المؤمنين: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقول الرسول ﷺ: «المسلم أخو المسلم»[١].

ونحن نؤمن بأصالة الأخوة الدينية القائمة على الإيمان، ونرى أنها أعمق أنواع الأخوات، كما عرفنا ذلك في سيرة الصحابة والمسلمين الأول، وكيف فاقت هذه الأخوة أخوة النسب والدم في وقائع شتى.

ونرى هذه الأخوة تذيب كل الفوارق بين الناس، من عنصرية ولونية

(١) سبق تخريجه.



وإقليميــة ولغوية وطبقية، وتعلى عنصــر الدين على كل هذه الأشياء، فترى المؤمنين فى توادهم وتراحــمهم وتعاطفهم كمثل الجـسد الواحد، يألم سائر الجسد إذا اشتكى عضو منه[1] وترى المؤمن الأبيض فى أوربا يشعر بأخوة عميقة بينه وبين المؤمن الأسود فى إفريقيا، فقد ربط بينهما الإيمــان الواحــد. ومع اعــتــرافنا بذلك نؤكــد: أن هذه الأخــوة على عمقها، لا تمنع من وجود أنواع أخر من الأخوات. مثل الأخوة الوطنية أو القومية، ومثل الأخوة الإنسانية.

وقد ناقــشنى أحد المتشــددين يومًا، معــترضًا على قــولى: (إخواننا الأقباط). بأن الأخوة إنما تكون بين المسلمين بعضهم وبعض، والأقباط نصارى، فكيف يكونون إخواننا؟

قلت له: إن الأقباط إخــواننا فى الوطن، وإن لم يكونوا إخواننا فى الدين، يجمعنا وإياهم وطن واحد.

قال: وهل هناك أخوة غير أخوة الدين؟

قلت: نعم، هناك الأخــوة الوطنية، والأخــوة القومــية، والأخــوة المهنية، والأخوة الإنسانية... إلخ.

(١) إشارة إلى حديث النعمان بن بشـير قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحـمهم وتعـاطفـهم، مثل الجسـد، إذا اشتكى منه عـضـو تداعى له سائر الجسـد بالسهـر والحمى». متـفق عليه: رواه البـخارى فى الأدب (٦٠١١)، ومسلم فى الـبر والصلة والآداب (٢٥٨٦)، وأحمد فى المسند (١٨٣٧٣).

قال: وما الدليل الشرعى على ذلك؟

قلت: الدليل على هذه الأخوات: وجودها فى عالم الناس وواقعهم، وإن كان ولا بد من دليل من نصوص الشرع، فها أنا أسوقه إليك من القرآن الكريم.

اقرأ معى قول الله تعالى فى سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٥، ١٠٦].

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٤].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤١، ١٤٢].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠، ١٦١].

فكل هؤلاء الأقوام كذبوا رسلهم وكفروا بهم، ومع هذا عبر القرآن عن علاقة رسولهم بهم بأنه علاقة (الأخوة) ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾. وذلك لأن هؤلاء الرسل كانوا منهم، ولم يكونوا أجانب عنهم، فتربطهم أخوة قومية.

وفى هذه السورة نفسها عرضت قصة شعيب مع أصحاب الأيكة فقال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ الشعراء: ١٧٦، ١٧٧]. ولم يقل كما قال فى الرسل السابقين: إذ قال لهم أخوهم شعيب، لماذا؟ لأن شعيبًا لم يكن من أصحاب الأيكة، بل كان غريبًا عنهم، وإنما كان من مدين، فهم قومه وليسوا أصحاب الأيكة، ولهذا قال فى سورة الأعراف وفى سورة هود وفى سورة العنكبوت: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤، العنكبوت: ٣٦].

فهذا يدلنا على أن الأخوة ليست دائمًا دينية، بل قد تكون وطنية أو قومية، أو غيرها.

وهنا لم يجد المعترض بدًا من التسليم، وهل يعارض مسلم دلالة القرآن الكريم؟

وإذا ثبتت الأخوة، فقد ثبت ما تقتضيه وتستلزمه من المحبة والمساواة والتضامن، إذ لا معنى للأخوة بغير هذا.

متى تحدث الإشكالية فى قضية الوطنية والمواطنة:

ما ذكرناه إذن حول قضية الوطن والوطنية والمواطنة: مسلم به فى الجملة على الأقل، ولا ينبغى أن يختلف فيه إسلامى وغير إسلامى.

فمتى تحدث الإشكالية بين الطرفين، بحيث يبدوان، وكأنهما خصمان؟ ولماذا تحدث هذه الإشكالية؟

إنها تحدث لعدة أسباب يمكن التغلب عليها كلها بيسر، إذا صفت النيات، وصحت العزائم.

١- عند تعارض الولاءات والانتماءات:

فالإنسان في واقع الأمر ليس له انتماء واحد، فقد تتعدد انتماءات الإنسان باعتبارات شتى، ولا نجد أى تناقض بينهما. فالإنسان ينتمى إلى أسرته، وينتمى إلى قريته، وينتمى إلى محافظته، وينتمى إلى قطره أو وطنه، وينتمى إلى إقليمه، وينتمى إلى قارته، وينتمى إلى دينه، وينتمى إلى أمته (الكبرى المؤسسة على الدين)، وينتمى إلى الأسرة الإنسانية.

ولا حرج فى ذلك ولا ضير، فهذه الانتماءات غير متعارضة ولا متناقضة، بل هى تعبر عن حقائق قائمة بالفعل، والعلاقة فيما بينها علاقة الخاص بالعام، والأخص بالأعم، وما بينهما.

إنما تحدث الإشكالية حين يتعارض الانتماء إلى الوطن والولاء له، مع انتماءات وولاءات أخرى يلتزم بها الإنسان.

وذلك مثل: الانتماء إلى الدين والولاء له.

ومثل: الانتماء إلى القوم والولاء لهم.

ومثل: الانتماء إلى البشرية والولاء لهم.

فأى هذه الولاءات والانتماءات أولى بالتقديم على غيرها؟ أعنى: إذا تعارض الولاء للوطن والولاء للدين، فإيهما يقدم، وبأيهما نضحى؟

الذى يظهر فى هذه الحالة: أنه فى حالة التعارض بين الدين والوطن، فإن الدين هو المقدم، لأن الوطن له بديل، والدين لا بديل له.

ولهذا رأينا الرسول الكريم وأصحابه حين تعارض الدين والوطن: هاجروا فى سبيل الله وضحوا بالوطن الذى ضاق بعقيدتهم، وصادر دعوتهم، وفتنهم فى دينهم. كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩].

وقد بين القرآن الكريم فى مفاصلة واضحة وحاسمة: أن دين المسلم أعز عليه، وأحب إليه من كل شىء سواه، مما يعتز به الناس ويحرصون عليه، وذلك فى قوله تعالى فى سورة التوبة: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وبهذا يتبين بما لا شك فيه: أن دين المسلم المعبر عنه بحب الله ورسوله: يجب أن ترجح كفته على كل الروابط والقيم الأخرى، بما فى ذلك الآباء والأبناء والإخوة والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن التى يرضونها. وهذه العبارة تعبر عن الأوطان التى رضوها وارتبطوا بها ماديًا وعاطفيًا.

٢- اقتران الوطنية بالعلمانية:

وتحدث المشكلة لدى بعض الإسلاميين، فتراهم يعارضون أو يتحفظون على فكرة (الوطنية) انطلاقا من أن (الوطنية) مسكونة بـ (العلمانية) التى تفصل الدين عن الدولة، بل عن الحياة. على خلاف ما هو معروف عن شمولية الإسلام، الذى عرفه الناس من مصادره الأصيلة: عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، دعوة ودولة، دينا ودنيا.

وعرفوا: أن الدين هو إحدى الضروريات أو الكليات الخمس التى جاءت بها الشريعة، التى شرعها الله لتحقيق مصالح العباد فى المعاش والمعاد.

ونقول هنا: إن الوطنية فى ذاتها لا تحمل أى مضمون أيديولجى، لا مضمون (دينى) ولا (لا دينى) (علمـانى)، بل هى محايدة، وقابلة لأن تحمل ما تحمل، من حق أو باطل.

وليست كل النزعـات الوطنية التى رأيناها علمانيـة، بل رأينا نزعات وطنية مشـبعة بالروح الإسلامـية، مثل: (وطنية مـصطفى كامل) الذى كان متعاطفا مع دولة الخلافة الإسـلامية، ومثل حركات التحرر الوطنى فى كثيـر من الأقطار الإسلامية، فـقد كانت هذه الحركـات التى قامت لمحاربة الاستعمار، وطرده من بلادها، والحصول على السيادة والحرية: ذات جذور إسلاميـة، وحوافز إسلامية، كمـا فى الجزائر وبلاد الشمال الإفريقى العربى، وكثير من البلاد فى آسـيا وإفريقيا، وهو ما اعترف به المؤرخ الأمـريكى المعروف (برنارد لويـس) فى كتـابه (الغرب والشـرق الأوسط) بأن حركات التحرير فى البلاد الإسلامية المختلفة، كان يقودها ويوجهها الزعماء الدينيون فى شتى البلدان.

ومثل ذلك: النزعات القـومية، فليست القومية فى ذاتـها علمانية، ولكن دعاة القـومية فى بعض الأوقـات كانوا علمـانيين، ليبـراليين أو ماركسيين، فظن من ظن: أن القومية لابد أن تكون علمانية.



وليس من الضرورى أبدًا أن تكون الوطنية أو القومية علمانية.

٣- الغلو فى الوطنية حتى تصبح بديلاً عن الدين:

وتحدث المشكلة أيضًا حين يغلو بعض الوطنيين فى فكرة الوطنية، أو عاطفة الوطنية، حيث نرى بعضهم يجعلون الوطن مقابل (الدين) أو بديلاً عن الدين، وإن شئت قلت: مقابل (الله) أو بديلاً عن (الله)، فكما تبدأ الأمور (باسم الله) تبدأ باسم الوطن، وكما يقسم الناس بالله، يقسمون بالوطن، وكما يعمل الناس لوجه الله، يعملون لوجه الوطن!!

وكأن الوطن أصبح إلهًا، أو وثنًا يشركونه مع الله عز وجل، مع أن المسلم قد جعل محياه ومماته كما جعل صلاته ونسكه لله، كما قال تعالى لرسوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

والحس الدينى عند المسلم يرفض أن يقرن باسم الله اسما آخر، أو يقسم بأحد أو بشىء مع الله، أو يعمل عملا لوجه غير وجه الله، ناهيك أن يفرده.

ولقد رأينا النزعة الوطنية، حين تمزقت مظلة الخلافة الإسلامية، وانفرط عقد الأمة الواحدة، والدولة الواحدة، لتصبح أمما أو أميمات،



أو دولا أو دويلات! تحاول كل دولة أن تعزز وجودها (الوطنى) الجديد، بفلسفة جديدة، ومفاهيم جديدة، يراد بها أن تبدل الولاء لله ولرسوله وللأمة المسلمة الكبرى، لتجعل بدله الولاء للوطن الصغير، الذى ينبئ عنه علم خاص، واسم خاص، وحدود خاصة، وتنشد له الأشعار، وتنشأ له الأناشيد، لتتعلق القلوب به، وتتجه المشاعر إليه.

وأذكر أننا حين كنا تلاميذ بالمدارس الأولية، كانوا يحفظوننا نشيدًا وطنيًا حماسيًا، لا أدرى من أنشأه وهو يقول:

بلادى، بلادى، فداك دمى وهبت حياتى فدا، فأسلمى.

غرامك أول ما فى الفؤاد ونجواك آخر ما فى فمى

وقد سمعت شيخنا الشيخ محمد الغزالى يعلق على هذا النشيد، وهذا البيت منه فيقول رحمه الله: فمآذا بقى من فؤاد هذا القائل ومن فمه لله خالقه؟

(الوطنية) مشروعة ومطلوبة إذا لم تتجه هذا الاتجاه الغالى، فإن الغلو فى كل شيء يفسده، وقد رأينا الإسلام يحذر أشد التحذير من الغلو فى الدين. وكذلك الغلو فى الوطن والوطنية.

ومما يذكر هنا أن أمير الشعراء أحمد شوقى برغم نزعته الإسلامية الواضحة، وبرغم قصيدته فى نعى الخلافة الإسلامية حين ألغيت، وهى

من روائع الشعر، الذى أوصى الشباب بحفظه[1]، أراه أحيانا يبالغ فى الوطنية، مثل قوله:

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه بالخلد نفسى!

وأشد منه قوله يخاطب أبناء مصر:

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم أن تجعلوه كوجهه معبودا

ولّو إليه فى النهار وجوهكم وإذا فرغتم واعبدوه هجودا

بل رأينا بعض الغلاة من العرب يقدم الوطن على الدين بصراحة، ويجعل كلمة الوطن هى العليا، وليست كلمة الله، ولا يبالى بما يؤمن به الناس من العقائد الدينية، ولا ما يحسون به من المشاعر الدينية. يقول:

بلادك قدمها على كل ملة ومن أجلها أفطر، ومن أجلها صم!

هبونى دينا يمنح العرب وحدة وسيروا بجثمانى على دين برهم!

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلا وسهلا بعده بجهنم[2]!

---

(١) مطلعها:

عادت أغانى العرس رجع نواح ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت فى يوم الزفاف بثوبه ودفنت عند تبلج الإصباح

(٢) الأبيات للشاعر اللبنانى رشيد سليم الخورى.

٤- عندما تتحول الوطنية إلى عصبية جاهلية:

وتحدث المشكلة كذلك عندما تتحول النزعة الوطنية إلى عصبية جاهلية، يتجمع فيها أهل الوطن ضد غيرهم، وينحازون فيها بعضهم لبعض، ينصر أخاه فى الوطن ظالما أو مظلوما، ويستجيب له إذا دعاه فى الحق أو الباطل، على نحو ما قيل فى وصف أحد زعماء قبائل العرب: إذا غضب غضب له مائة ألف سيف، لا يسألونه فيم غضب؟!

وكما وصف أحد الشعراء أبناء قبيلته بقوله:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

فالمصيبة: أن تعين أهلك وقومك على ظلم الآخرين، وأن تشهد لهم على الآخرين محقين كانوا أم مبطلين، وأن تقول ما قال أتباع المتنبئين الكذبة من قبائل العرب أيام حروب الردة: كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر.

هكذا تكون العصبية القومية، وكذلك تكون العصبية الوطنية، كما رأينا ذلك فى النزعات النازية والفاشية فى أوربا فى أواسط القرن العشرين، من رفع شعارات: ألمانيا فوق الجميع، وإيطاليا فوق الجميع.

والإسلام يعلم المسلم: أن يدور مع الحق حيث دار، وأن يقول الحق وإن كان مرًا، وأن يكون قوامًا بالقسط شهيدًا لله، ولو على نفسه أو



الوالدين والأقربين، وكذلك لا يجرمه شنآن قوم على أن لا يعدل، بل يجب أن يقوم بالقسط مع من يحب، ومع من يكره، فعدل الله لجميع عباد الله.

ومن هنا أنكر الإسلام العصبية بكل أنواعها، سواء كانت عصبية قبلية، أم عصبية قومية، أم عصبية إقليمية، أم أى عصبية كانت.

روى الإمام مسلم فى صحيحه: عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: «من قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلته جاهلية»(١).

❁❁❁❁

(١) رواه مسلم فى الإمارة (١٨٤٨)، وأحمد فى المسند (٧٩٤٤)، والنسائى فى تحريم الدم (٤١١٤)، وابن ماجه فى الفتن (٣٩٤٨) عن أبى هريرة.



القوميــة

قال -تعالى-:

* ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

قال رسول الله ﷺ:

١٦- «الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا».

«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» رواه مسلم عن أبى هريرة.

١٧- «إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى». قال العراقى: رواه أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة ورواه الترمذى أيضًا من حديث ابن عمر وقال غريب، إتحاف المتقين بشرح إحياء علوم الدين.

١٨- «الكفر فى العجمة.. ولا يبغض العرب إلا منافق.. وإذا ذل العرب ذل الإسلام».

قبسات من نور الوحى:

لقد ظهرت الدعوة القومية فى أوروبا، حيث تأسست بتأثيره دول مثل إيطاليا وألمانيا، ولقد شجع الاستعمار إبان احتلاله للعالم العربى على نشر الفكر القومى بين المسلمين من أجل جعل القومية بديلاً عن الدين، مما يؤدى إلى انهيار عقائدهم وتمزيقهم سياسيًا، بتفجر العداوات بين شعوبهم المختلفة، كما يلاحظ أن كثيرًا من النصارى وخاصة نصارى الشام كان لهم النشاط الملحوظ فى الدعوة إلى الفكر القومى أيام الدولة العثمانية، كغطاء لتعميق العداوة مع الدولة العثمانية المسلمة، وتفكيك دولة الخلافة، وباستغلال الثغرات القاتلة للدولة العثمانية التى عملت إلى حد بعيد على الاحتفاظ بتركيتهم بل وتتريك الرعية العربية على العكس من معظم الدول والأسر غير العربية التى حكمت العرب باسم الإسلام من قبلهم، فكانت المأساة التى تلقفها وزادها دعمًا وبلورة وتشييدًا أعداء كل من العروبة والإسلام.

ولقد ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة فى نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وفى عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها، ولم تصبح تيارًا شعبيًا عامًا إلا عندما تبنى الدعوة إليها الرئيس المصرى جمال عبد الناصر، ويمكن القول أن هذه الدعوة تعانى كثيرًا من الانحسار الآن والجمود.



وحقيقة الأمر فإنه لا يوجد تناقض كبير بين دعوى القومية وبين الإسلام، كما لا يوجد تناقض بين العروبة والإسلام، وكما يقول الحديث الشريف: «**الكفر فى العجمة.. ولا يبغض العرب إلا منافق.. وإذا ذل العرب ذل الإسلام**».

(ولقد نشأ الإسلام عربيًا، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء بلسان عربى مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان .. فالعرب هم أمة الإسلام الأول، وشعبه المتميز.. ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة العرب ونهضتها.. وليس فى الدنيا جامعة أقوى وأقرب من جامعة تجمع العربى بالعربى، فاللغة واحدة، والأرض واحدة، والآمال واحدة، والتاريخ واحد، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها)[1].

أما عند توظيف تلك الدعوة على حساب الرابطة الإسلامية ونقيضًا لها، وتحت شعار: الدين لله والوطن للجميع وبإعلاء أخوة الوطن على أخوة الدين، فهذا مما أثار الشكوك والحذر، ومن هنا وجب على الشباب فهم تلك العلاقة جيدًا مجردة من كل لبس.

والقومية تعنى عدة أبعاد هذا بيانها وموقف الإسلام منها[2].

---

(١) مقال الشيخ حسن البنا، د. محمد عمارة، الإسلام والعروبة ص٨٨.

(٢) انظر الرسائل للإمام البنا، ص٢٠.

قومية المجد:

وهى تعنى متابعة خلف الأمة لسلفها العظام فى مراقى المجد ومدارك النبوغ والهمة وأن تكون لهم بهم قدوة حسنة، وأن عظمة الأب مما يعتز به الابن ويجد لها الحماس والأريحية بدافع الصلة والوراثة، وهذا فى حد ذاته مقصد جميل ولا غبار فيه حيث أن الإسلام لا يمنع من القومية بهذا المعنى وعملاً بحديث المصطفى ﷺ: **«الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام»**.

قومية الأمة:

وعندما تعنى القومية أن عشيرة الرجل وأمته أولى الناس بخيره، وبره وأحقهم بإحسانه وجهاده، فهذا حق كذلك ومن ذا الذى لا يرى أولى الناس بجهوده قومه الذين نشأ فيهم ونما بينهم؟

لعمرى لرهط المرء خير بقية   عليه وإن عالوا به كل مركب

فإذا قصد بالقومية أننا جميعًا مُبتلون مطالبون بالعمل والجهاد فعلى كل جماعة أن تحقق الغاية من جهتها حتى نلتقى إن شاء الله فى ساحة النصر فنعم التقسيم. . . وهذا المعنى أيضًا لا يأباه الإسلام.

فإذا أريد بالقومية، كما يقول المفكر الإسلامى أبو الأعلى المودودى:

(الجنسية، فهى أمر فطرى لا نعارضه، وكذلك إن أريد بها انتصار الفرد لشعبه، شريطة ألا يستهدف تحطيم الشعوب الأخرى. . وإن



أريد بها حب الفـرد لشعبه فـنحن لا نعارضها كـذلك، إذا كان هذا الحب لا يعنى معنى العصبية القوميـة التى تجعل الفرد يحتقر الشعوب الأخرى.. وإن أريد بهـا مبدأ الاستـقلال القومى، فـهو هدف سليم كذلك، فـمن حق كل شعب أن يقـوم بأمره، ويتـولى بنفسـه تدبير شئون بلاده، أما الذى نعترض عليه ونعتـبره شيئًا ممقوتًا ونحاربه بكل قوة فهـو القومية التى تضع ذاتهـا ومصالحهـا ورغباتها الخـاصة فوق جميع الناس ومصـالحهم ورغباتهم، والحق عندها هو ما كان مـحققًا لمطالبها واتجاهاتها ورفعة شأنها، ولو كان ذلك بظلم الآخرين وإذلال نفوسهم)[1].

قومية الجاهلية:

وعندما يراد بالقـومية إحيـاء عادات جاهلية درست وإقـامة ذكريات بائدة خلت، وإقـصاء حـضارة نافـعة استـقرت، والتـحلل من عـقدة الإسلام ورباطه بدعـوى القومـية والاعتـزاز بالجنس كما فـعلت بعض الدول فى المغـالاة بتحطيم مظاهر الإسـلام والعروبـة، حتى الأسـماء وحروف الكتابة وألفـاظ اللغة، وإحياء ما اندرس من عـادات جاهلية، فذلك فى القومية معنى ذميم وخـيم العاقبة، يؤدى بالشرق إلى خسارة فادحة يضيع مـعها تراثه وتنحط بها منزلته ويفـقد أخص مميزاته وأقدس

(١) المودودى: الإسلام والمدنية الحديثة، نقلاً عن الإسلام والعروبة لمحمد عمارة، ص١٤٨.

مظاهر شرفه ونبله، ولا يضر ذلك دين الله شيئًا: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

قومية العدوان:

وعندما يراد بالقومية الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدى إلى انتقاص الأجناس الأخرى والعدوان عليها والتضحية بها فى سبيل عزة أمة وبقائها، كما تدعى كل أمة تنادى بأنها فوق الجميع فهذا معنى ذميم كذلك ليس من الإنسانية فى شىء، لأنه يؤدى إلى التناحر بين الجنس البشرى فى سبيل الأوهام.

فالإسلام يتنافى مع القومية بهذه المعانى ولا بأشباهها، كالمناداة بالفرعونية والعربية والفينيقية والسورية والفارسية.. ويمثل تلك الألقاب التى يتنابز بها الناس، «الناس لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى».

****

العلاقة مع الآخر

قال -تعالى-:

* ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

* ﴿ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات: ١٣].

* ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

* ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

* ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٥- ٥٦].



* ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣، ٤].
* ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].
* ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦].
* ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٦١].
* ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ٩٠].
* ﴿ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩١- ١٩٢].
* ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قبسات من نور الوحى

ينطلق موقف المسلمين مع غيرهم من الأمم والملل من قناعة أنهم الأمة الوسط الشاهدة على غيرها من الأمم، بما ينطوى ذلك بكل ما تحمل «الوسطية» من دلالة، ربما يستلزم ذلك من خصائص ومميزات، أولها «العدل والخيرية». . وشهادتها على غيرها تنبع من هذا الاعتبار، أنها أمة العدل فى كل شىء، ومن أنها احتوت آخر الرسالات: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

وعلاقة المسلمين مع غيرهم سواء كانوا بينهم أو خارج حدودهم - وخاصة غير المحاربين- تتأسس على ثلاث مبادئ:

لا إكراه فى الدين:

وهذا يتعلق بالدرجة الأولى مع المقيمين بينهم، وهؤلاء يتمتعون بكافة حقوقهم الدينية سواء من حيث اعتناق ديانة مخالفة للدين الإسلامى أو من حيث ممارسة شعائر ذلك الدين.

[وجاء عن الصحابة فى أهل الذمة: اتركوهم وما يدينون، ومنذ عهد الخلفاء الراشدين والنصارى يؤدون عباداتهم ويقيمون شعائرهم فى حرية وأمان، كما هو منصوص عليه فى العهود التى كتبت فى عهد أبى بكر وعمر، مثل عهد الصلح بين الفاروق وأهل إيلياء (القدس).

ومن شدة حساسية الإسلام أنه لم يفرض الزكاة ولا الجهاد على غير المسلمين، لما لهما من صبغة دينية باعتبارهما من عبادات الإسلام الكبرى -مع أن الزكاة ضريبة مالية، والجهاد خدمة عسكرية- وكلفهم مقابل ذلك ضريبة أخرى على الرؤوس، أعفى منها النساء والأطفال والفقراء والعاجزين وهى ما سميت (الجزية).

ولئن كان بعض الناس يأنفون من إطلاق هذا الاسم، فليسمونه ما يشاؤون، فإن نصارى بنى تغلب من العرب طلبوا من عمرًا، أن يدفعوا مثل المسلمين صدقة مضاعفة ولا يدفعون هذه الجزية وقبل منهم عمر، وعقد معهم صلحًا على ذلك، وقال فى ذلك: هؤلاء القوم حمقى، رضوا بالمعنى، وأبوا الاسم!

ولأهل الذمة محاكمهم الخاصة يحتكمون إليها إن شاءوا وإلا لجأوا إلى القضاء الإسلامى، كما سجل ذلك التاريخ.

يقول د. يوسف القرضاوى: (ومن هنا نرى أن الإسلام لم يجبرهم على ترك أمر يرونه فى دينهم واجبًا ولا على فعل أمر يرونه عندهم حرامًا، ولا على اعتناق أمر دينى لا يرون اعتقاده بمحض اختيارهم.

- ولا وجه لدعوى بعض الناس -وجلهم من العلمانيين الذين لا يوالون الإسلام ولا المسيحية- أن الحل الإسلامى والشرع الإسلامى ينافى مبدأ الحرية لغير المسلمين، وهو مبدأ مقرر دوليًا وإسلاميًا، فقد



نسوا أو تناسوا أمرًا أهم وأخطر، هو أن الإعراض عن الشرع الإسلامى والحل الإسلامى من أجل غير المسلمين -وهم أقلية- ينافى مبدأ الحرية للمسلمين فى العمل بما يوجبه دينهم، وهم أكثرية، وإذا تعارض حق الأقلية وحق الأكثرية فأيهما نقدم؟

إن منطق الديمقراطية -التى يؤمنون بها ويدعون إليها- أن يقدم حق الأكثرية على حق الأقلية... ولو لم تفعل الأقلية الدينية ذلك، وتمسكت بأن تنبذ الأكثرية ما تعتقده دينًا يعاقب الله على تركه بالنار، لكان معنى هذا أن تفرض الأقلية ديكتاتورية على الأكثرية، وأن يتحكم مثلاً ثلاثة ملايين أو أقل فى أربعين مليونًا أو أكثر، وهذا ما لا يقبله منطق دينى ولا علمانى.. وهذا على تسليمنا بأن هنا تعارضًا بين حق الأكثرية المسلمة وحق الأقلية غير المسلمة والواقع أنه لا تعارض)(١).

الحوار والتعايش:

فالقرآن يأمرنا بالحوار مع كل المخالفين، لا أن ندعهم وننفض أيدينا منهم، ونعيش فى حدود أنفسنا: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، كل ما اشترطه القرآن هنا: أن يكون الجدال -الحوار- بالتى هى أحسن أى

(١) د. يوسف القرضاوى: أولويات الحركة الإسلامية.

بأحسن الأساليب وأفضلها وصولاً إلى إقناع العقل، وإيقاظ القلب، ومن روائع التعبيرالقرآنى هنا: أنه اكتفى فى الموعظة بأن تكون حسنة، ولم يرض فى الجدال أو الحوار إلا أن يكون بالتى هى أحسن، لأن الموعظة تكون مع الموافق والجدال مع المخالف، فلابد أن يستخدم معه أفضل الوسائل.

وهذا ما يجب على المسلم من أن يتمسك بهذا الأسلوب ومن أن يتقن مهاراته وفنونه، ومن أن لا ينطق فى التعامل مع المخالفين من كونه على الحق وفقط، فينتهى من آخر مسلماته، بل يجب الانطلاق من الأرضية المتفق عليها: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، بالإضافة من أن يتقن فن السماع لوجهة نظر الآخرين.

بل هناك ما هو أكثر من ذلك، وهو أن الإسلام حرص على حماية شعور الآخرين، ومن إيذائهم بالسب والقذف: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ولقد: رد صاحب تفسير المنار -على استشكال بعضهم النهى، بما ورد فى الكتاب العزيز من وصف آلهتهم بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تقرب ولا تشفع، وأنها هى وإياهم حصب جهنم، وتسميتها بالطاغوت



وهو مبالغة من الطغيان، وجعل عبادتهم طاعة للشيطان فقال: «وقد يجاب عنه بأن هذا لا يسمى سبًا، وإن زعموه جدلاً، لأن السب والشتم هو ما يقصد به الإهانة والتعبير، والغرض من ذكر معبوداتهم بذلك بيان الحقائق، والتنفير من الخرافات والمفاسد، وأجيب على تقدير التسليم، بأن ما يستحق جائز فى نفسه، وإنما يُحظر إذا أدى إلى مفسدة أكبر منه، والحال كذلك.

ومن الاستشكال أيضًا قول آخر وهو: كيف نهانا الله -تعالى- عن سب من يستحق السب لئلا يُسب من لا يستحقه، وقد أمرنا بقتالهم وإذا قاتلناهم قتلونا وقتل المؤمن بغير حق منكر؟

وأجاب عنه الشيخ: بأن سب الآلهة مباح غير مرفوض وقتالهم فرض، وما كان مباحًا ينهى عما يتولد عنه ويحدث، وما كان فرضًا لا ينهى عما يتولد عنه.

وقد أورد الشيخ محمد رشيد رضا من فروع نفس المسألة: على أن إطلاق لفظ الكافر قد يكون حق على الملاحدة المنكرين لوجود الله -عز وجل-، ولكن من هذا الباب يعتبر إطلاقه على كل متدين سبًا وإهانة، فيترتب على هذا أن إطلاقه على من يحرم إيذاؤه من أهل الأديان محرم شرعًا إذا تأذى به ولا سيما فى الخطاب، وذكر الشيخ شاهدًا على ذلك من فتاوى الحنفية عن «معين الأحكام» قال: إذا شتم الذمى يعزّر لأنه



ارتكب معصية، وفيه نـقلاً عن «الغنية» ولو قال للذمى: يا كافر، يأثم إن شق عليه»[1].

والتاريخ خير شاهد على أروع الأمثلة على احتواء واندماج غير المسلمين فى المجتـمع الإسلامى، وتمتـعهم بأرقى مـستويات التـعامل على المسـتوى الحضارى. . كيف أثروا بمشاركتهم واندماجهم فى الحضارة الإسلامية.

ومن هنا يتأكـد من أن الإسلام لا يرفض مبدأ الحـوار مع الآخرين، والمختلف معهم فى مبدأ أو عـقيدة، وهو يرفض الفكرة القائلة «بصراع الحضارات» التى يروج لها الآن فى الغرب، فنظرة الإسلام والإسلاميين من هذه القضية المفروضة على الساحة اليوم تنطلق من:

(كونهم أصحاب رسالة عالميـة لم تأت للعرب وحدهم -وإن تشرفوا بحملها- وإنما جاءت للعالمين، لذلك فالغرب لهم بمثابة مساحة جغرافية وإنسـانية يجب أن تـبلغهـا رسـالة السمـاء، ولكن بالحكمـة والموعظة الحسنة. . فـهم يتطلعـون لهذه المساحـات بعقليـة استـثماريـة وليست استعمـارية، عقلية تبادل المصالح والمنافع فى آن واحـد، فالغرب عنده التكنولوجـيا وأسرار التطور، والمسلمـون لديهم «نظريات وأخلاقـيات» الحـفاظ على التـوازن الإنسانى فى اتجـاه حـماية المنجـزات الإنسانيـة الحضارية، وكلاهما مطلوب للآخر ولا غنى له عنه.

(١) الشيخ محمد رشيد رضا: تفسير المنار، جزء ٧ تعليقًا على آية ١٠٨.

إن الغرب لديه تطلعات فى الثروة العربية -الإسلامية، والإسلاميون يرون أن هذه الثروات مطلوبة لبناء عالمهم الإسلامى، حيث الغرب بيده مفاتيح هذا البناء والتقدم، فإذا تحقق العدل فى التبادل المصلحى لكلا الطرفين فليس هناك ما يمنع التطور والتعايش والانفتاح الثقافى والمعرفى بين الشرق والغرب.. حيث يرى الإسلاميون بذلك أنهم يقفون على قدم المساواة مع منافسيهم، وإن أنموذجهم فى البناء الإنسانى متاح للمساحات الجغرافية والإنسانية الأخرى، وإن إمكانيات قيام علاقة جدلية متوازنة أمر لا تلغيه حالة الاستفراد التى تطرحها -اليوم- النماذج الغربية، ولعل هذا هو ما يحاول الإسلاميون أن يقولوه بمختلف الوسائل وأساليب التعبير)[1].

الوفاء بالعهود والمواثيق:

وهو مبدأ يتعلق بالدرجة الأولى مع من يقيم خارج ديار الإسلام ولم يبدأوا المسلمين بقتال أو عداوة فالإسلام يوجب مسالمتهم حتى وإن لم يكن بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٩٠]

---

(١) الإسلاميون والغرب: التقارب وإشكاليات التعايش: أحمد بن يوسف مجلة منبر الشرق، عدد ١٠.

وذلك لأن القاعدة فى الإسلام هى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

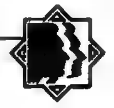
والإسلام يدعو إلى احترام العهود والمواثيق، ويبلغ من احترامه لتلك العهود والمواثيق، أن جعل خاصية الآدمية رهنًا باحترام المواثيق والمحافظة عليها، فالذين ينقضون العهود هم حيوانات أو أضل كما جاء فيقول -تعالى-: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ....﴾ [الأنفال: ٥٥].

ووسطية أمة الإسلام تحتم عليها أن تحترم مواثيقها وعهودها مع غيرها من أمم الأرض حتى ولو كانت على الشرك، كما جاء فى قوله -تعالى-: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [الحج: ٣]، والنص يوضح أن العهود المبرمة بين المسلمين وغيرهم مرعية بشروط ثلاثة هى:

أ- ألا ينقض الطرف الآخر مما عاهد شيئًا من شروط العهد.

ب- ألا يتحالف الطرف الآخر مع عدو للمسلمين أو يظاهر عليهم فى حرب أو ما أشبه.

ج- ألا ينقض العهد أو الميثاق ما دام فى مدته المتفق عليها حتى يبلغ الكتاب أجله ولم يشأ الطرفان استمرار الموادعة بينهما.



وبلغ من احترام الإسلام لعهود المسلمين ومواثيقهم مع غيرهم أنه يحث أتباعه على عدم نصرة إخوانهم إذا كان ذلك على حساب قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢][١].

فى حالة الحرب:

والإسلام وإن يدعو إلى التعايش السلمى، إلا أنه لا ينفى احتمال اللجوء إلى الحرب إن كان فى ذلك ضرورة لرد عدوان وقع أو هو وشيك الوقوع، وحتى فى هذه الحالة فإن الإسلام لا يدعو إلى اتباع سبل الغدر والخيانة عند التعامل مع الأعداء حتى ولو كان ذلك معاملة بالمثل والله سبحانه وتعالى -يقول: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨] والنص يوضح ضرورة أن يحارب المسلمون أعداءهم جهرًا وبعد إعلامهم بذلك وخاصة إذا ما كان بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق ورأى المسلمون أن أعداءهم لم يرعوا عهدهم بصورة أو بأخرى. . .

هذا على المستوى الجماعى، أما على المستوى الفردى فإن لجأ أحد المحاربين من الأعداء إلى المسلمين فيجب حمايته حتى يبلغ مأمنه:

(١) د. صلاح الفوال: علم الاجتماع الإسلامى ج٢، ص٦٠٦.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]. ، وعدم الغدر ناتج عن اقتناع الإسلام ليست هدفًا فى حد ذاتها وإنما هى وسيلة لغاية وهى كف العدوان: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ [الأنفال: ٦١][1].

❊❊❊❊

(١) د. صلاح الفوال: مرجع سابق، ص٦٠٦- ٦٠٧.



الهوية الثقافية

- قيمة الوقت
- الصحة والبيئة

- الرياضة
- اللهو والسمر

- المهارات

قيمة الوقت

قال -تعالى-:

* ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٤٨].

قال رسول الله -ﷺ-:

١٩- «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما.

٢٠- «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسئل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم» رواه الترمذى عن ابن مسعود، صحيح الجامع: ٧٢٩٩.

٢١- «اغتنم خمسًا قبل خمس، حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» رواه الحاكم والبيهقى عن ابن عباس -رضى الله عنهما-.

٢٢- «بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدجال فشر غائب

ينتظر، أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر» رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال: حديث حسن.

٢٣- «بادروا بالأعمال الصالحة، فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا» رواه مسلم عن أبى هريرة -رضى الله عنه-.

إضاءة على المعنى:

«مغبون فيهما»: من الغبن وهو الشراء بأضعاف الثمن، أو البيع بدون ثمن المثل.

«فقرًا منسيًا»: لما ينال النفس منه من الغم ينشأ عنه النسيان.

«غنى مطغيًا»: لصاحبه وملهيًا له عن القيام بأنواع حق العبودية.

«مرضًا مفسدًا»: للعقل أو البدن مانعًا من أداء العبادة أو كمالها، ومن ثم ورد: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

«أو هرمًا مفندًا»: يقال للشيخ إذا هرم قد أفند لأنه يتكلم بالمنحرف من الكلام عن سنن الصحة، وأفنده الكبر إذا أوقعه فى الفند.

«أو موتًا مجهزًا»: أى سريعًا، كأنه يريد به الموت الفجأة أو الاخترام فى الشباب.



«أو الدجال فهو شر غائب»: لما فيه من شدة الفتنة التى لا ينجو منها إلا من عصمه الله.

«أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»: أى عذابها، وأعادها بلفظها تفخيمًا لشأنهـا، وأدهى أى أعظم بلية، وأمـر أى أشد مرارة من عـذاب الدنيا وأهوالها.

«بادروا بالأعمال الصالحة»: أى ائتوا بالعمل الصالح وابتدروا إليه قبل ظهور المانع منه من الفتن.

«يبيع دينه بعرض»: أى أن سبب كـفره بيعه، أى أخـذ العرض فى مقـابلة دينه، بأن يأخـذ أو يستحـل مال أخيـه المسلم أو يستـحل الربا والغش أو نحوه مما أجمع على تحريمه وعلم من الدين بالضرورة.

قبسات من نور الوحى:

كثـيرًا من الثروات التى نملكهـا ولا نعرف قيمـتها إلا بعد فـقدها، وكثيرًا مما نفقده قد يكون من الإمكان اسـترجاعه أو تعويضه، إلا اثنتان هما: الوقت والصحة، ولذلك عبر الحديث النبوى بالمصطلح التجارى، لتقريب المعنى «الغبن» وهو مـا ينبىء أن الإنسان لا يدرى قيمتـها! فما بال الكثير منا إذا كان يتعامل مع قضية الوقت مثلاً بأنه يعانى عبئًا عليه فهو يحاول حـثيثًا أن يتخلص منه بأى طريقة، وأحيـان بطريقة انتحارية

وتحت شعار «قتل الوقت»، وهو لا يدرى أنه يقتل بعضه! بسيف بتار وهو الوقت! وما ينطبق على الأفراد ينطبق على الأمم.. وخاصة إذا كان مقياس تقدم الأمم اليوم بالقفزات الزمنية!

وهذا هو نفس الشيء ما يتعامل به ضعاف النفوس، مع قضية الصحة، فهم كثيرًا ما يجازفون تحت ضغط نزوة عابرة أو شهوة جامحة أن يتخلصوا على بعض من رأس مالهم الصحى وبصور شتى من الانتحار البطيء بتناول المسكرات والمخدرات أو التدخين.. وبلا مبالاة لصرخات العقلاء والعلماء أن انتبهوا!!

ومن هنا كان.. وقبل ذلك كانت قيمة الخطاب النبوى بالتحذير الشديد من تفويت الفرص الضائعة، وبالانتباه إلى ما يأتى:

- ضرورة الاستفادة من الفرص المتاحة قبل أن تتغير الأوضاع وتختلف الظروف باستغلال كل من: الشباب قبل الهرم، والصحة قبل السقم، والغناء قبل الفقر، والفراغ قبل الشغل، والحياة قبل الموت، وذلك بتحقيق أكبر قدر من المنافع والمكاسب والنجاحات والعمل الصالح الذى يعود على النفس خيره وعلى المجتمع، وسواء فى الدنيا أو الآخرة، وذلك قبل أن يحل العجز أو ينقضى أوان العمل، ولا يبقى للإنسان إلا الندم والحسرة على ما فات، وحين يملك الهمة على العمل ولا يجد وقتًا أو عافية، وليتذكر الشباب مقالة الإمام على -كرم الله وجهه-:



«من أمضى يومًا فى غـير خير قضاه، أو فـرض أدَّاه، أو مجد بناه، أو حَمْد حصّله، أو خير أسمعه، أو علم اقتبسه فقد عق يومه».

- ضرورة مراعاة الإنجاز المناسب أو الاستثمار الأمثل لكل فرصة ونعمة بين يدى المسلم، وكما أن لكل نـعمة عبادة، فلكل نعمـة لها أفضل استثـمار، فمرحلة الشبـاب تحتاج الإنجاز العضـلى والحركى والسعى لإنجاز لأفضل النجـاح والكسب، كذلك فى الصبر عـلى العبادة من صلاة وصيام وقيام وجهـاد فى الدعوة والحركة، كذلك فإن الغنى له أفضل استـثمار، فى الإنفاق والصـدقة على مشاريع الخـير والدعوة وعلى الفقراء، وكذلك الصحة، وكذلك الفراغ.

- ينبغى تذكر أنه فى أى الأحوال فإنا غدًا محاسبون بين يدى الله -عز وجل- عن تلك الفرص التى أتيحت يومًا ما، ويومها لا ينفع الندم، **«لا تزول قدما ابن آدم يوم القيـامة حتى يسئل عن خمس: عن عمـره فيما أفناه، وعن شبابه فـيما أبلاه، وعن ماله من أين اكـتسبه وفيم أنفـقه، وماذا عمل فيـما علم»**، وفى الأثر عن الحسن البصـرى: «ما من يوم ينشق فجـره إلا نادى مناد من قبل الحق: يا بن آدم أنا خلـق جديد وعلى عملك شهيد فتزود منى بعمل صالح فإنى لا أعود إلى يوم القيامة».

- ينبغى الاحتـراز من معوقات الاسـتفادة من الفرص المتـاحة، وأولها الصحبة السيئة التى لا تعـين ولا تذكر، والحذر من فلسفة قتل

الأوقات فى اللــهو والعبث الذى يخــدر النفوس ويفــسد العــقول، ويفت من الهمم والعزائم، ومن أول تلك الملهيــات الأوقات الضائعة أمــام أجهــزة الإعلام، وإن الخطوة الأولى للشــباب الذى لا يضــيع الفرص المتاحة يوم ينتصر على التليفزيون والدش... إلخ.

ويوم يعرف كــيف يسخّره للفــائدة، ولا يُسخّر أو يُخَــدّر من قبله، أو يكون عرضة للاستهواء والتوجيه المسلوب الإرادة، وليوقن الشباب أن «النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل».

****



الصحة والبيئة

قال -تعالى-:

* ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦].

٢٤- عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا» متفق عليه.

٢٥- قال رسول الله -ﷺ-: «ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» صحيح الجامع.

٢٦- قال رسول الله -ﷺ-: «المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء» رواه مسلم.

٢٧- عن أبى أيوب -رضى الله عنه- قال: خرج علينا رسول الله -ﷺ- فقال: «حبذا المتخللون من أمتى. قال: وما المتخللون يا رسول الله؟ قال: المتخللون فى الوضوء، والمتخللون من الطعام، أما تخليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع، وأما تخليل الأسنان فمن الطعام: إنه ليس شىء أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعامًا وهو قائم يصلى» رواه أحمد.

٢٨- قال رسول الله -ﷺ-: «ما أنزل الله داء إلا وله دواء» رواه البخارى.

٢٩- قال رسول الله -ﷺ-: «إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام» أخرجه أبو داود.

٣٠- قال رسول الله -ﷺ-: «لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة» رواه البخارى وأحمد.

٣١- قال رسول الله -ﷺ-: «مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيؤها الريح مرة، وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون إنجعافها مرة واحدة» متفق عليه.

٣٢- قال رسول الله -ﷺ-: «تسوكوا؛ فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب، ما جاءنى جبريل إلا أوصانى بالسواك، حتى لقد خشيت أن يفرض على وعلى أمتى» رواه ابن ماجة.



٣٣- قال رســول الله -ﷺ-: «اتقـوا الملاعن الثـلاث: البـراز فى الموارد وقـارعـة الـطريق والظل» رواه أبو داود وابن مـاجـه والبـيـهـقى وصححه.

٣٤- قال رســول الله -ﷺ-: «لا يبـولن أحـدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه» رواه مسلم.

٣٥- قال رسول الله -ﷺ-: «عشر من الفطرة: قص الشـارب، وإعفاء اللحية، والـسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغـسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العـانة، وانتقـاص الماء» قال الراوى: ونـسيت العـاشرة إلا تكون المضــمـضة، قــال وكيع: وهو أحــد رواته: انتقـاص الماء، يعنى الاستنجـاء. رواه مسلم عن عـائشة -رضى الله عنها-.

٣٦- قال رســول الله -ﷺ-: «إن الله طيب يحب الطيـب، نظيف يحب النظافــة، كـريم يحب الكرم، جـواد يحب الجود، فنظفــوا أفناءكم وساحاتكم، ولا تشـبهوا باليهود، يجمعـون الأكباد فى دورهم» الطب النبوى لابن القيم، نقلاً عن مسند البزار وضعفه.

٣٧- عن عـمـر -رضى الله عـنه- قـال: «إياكم والبطـنة فى الطعـام والشـراب فإنهـا مفـسدة للجـسد، مـورثة للسـقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بـالقصد فـيهما، فـإنه أصلح للجسـد وأبعد عن



الصرف، وإن الله -تعالى- ليبغض الحبر السمين، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه». أخرجه أبو نعيم وكذا، فى الكنز «٨/ ٤٧».

وفى رواية الديلمى عن ابن عباس: «إياكم والبطنة من الطعام، فإن العبد لا يهلك حتى يؤثر شهوته على آخرته».

إضاءة على المعنى:

«من درنه»: وهو الوسخ.

«مثل الصلوات الخمس»: فى رفعها الدرن المعنوى من الذنب.

«الخطايا»: أى الصغائر المتعلقة بالله -سبحانه وتعالى-.

قبسات من نور الوحى:

إن عناية الإسلام بصحة المسلم، جزء من العناية التربوية الشاملة، التى تبغى الكمال والقوة فى الدين والدنيا، واعتمادًا على أن المسلم يحمل على عاتقه رسالة خاتم المرسلين وهى أمانة تنوء الجبال عن حملها، وما كان ينبغى أن يحمل هذه الرسالة الضعاف ولا المرضى أو أصحاب العاهات أو ضعاف النفوس أو مشوهى الخلق وضعاف الإيمان.

وما كان ينبغى كذلك أن يحمل رسالة التطهير والتزكية قوم وشباب يفتقدون أدنى درجات الطهارة البدنية، فضلاً عن القلبية، والناظر إلى



دعاء المسلم بين يدى ربه وبعد إتمام عملية الوضوء ويفطن إلى مغزاه: «اللهم اجعلنى من التوابين ومن المتطهرين»، يجد إنها نية الإصرار والعزم على النقاء والطهارة من كل رجس أو دنس الدائمين، والانضمام إلى قافلة أبرز خصالها الطهارة والإنابة.. وليس الوضوء مجرد طقوس تؤدى بلا روح أو إدراك.. تتطاير ذراته مع الرياح والوقت، وإن الناظر إلى أحكام الطهارة أو حتى آداب قضاء الحاجة.. يكتشف مدى الجهد النبوى المبذول من أجل الارتقاء بالمستوى الحضارى للعرب البدو.. من خلال تهذيب العادات والسلوك!

- **أرشد الإسلام إلى سلوكيات النظافة الخاصة والعامة إن الله نظيف يحب النظافة جميل يحب الجمال:** فحث المسلمين وتعبدهم بالوضوء خمس مرات يوميًا، وأوجب غسلاً واحدا على الأقل أسبوعيًا، بالإضافة إلى غسل الجنابة.. وباعتبار أن النظافة مدخل أساسى للصحة الخاصة والعامة، وتعمل على تجنيب البدن من كثير من الأمراض، فالوضوء المتكرر على سبيل المثال.. نموذج لاكتساب هذا السلوك، وله أثر كبير فى صيانة أعضاء الوضوء من كثير من الأمراض، ومع تحرى اتباع وموالاة سنن الفطرة العشرة المذكورة فى الحديث، يكتسب المرء قمة عادات النظافة الشخصية، فالتسوك على سبيل المثال مدخل كبير لعناية الأسنان. هذا بالإضافة لتلك الآثار التى وردت وتحث على النظافة ونظافة الأفنية.

- هدى وأرشد إلى أساسيات الصحة العامة وصحة البيئة: مثل تلك الأحاديث التى تعتبر بمثابة رسائل تحذير وسابقة الإنذار للبشرية وقبل أن تدرك قيمتها فى العصر الحديث، مثل النهى الوارد عن التبرز فى موارد المياه، وعلى قارعة الطريق، وفى الظل، أو التبول فى الماء الذى لا يجرى ثم الاغتسال فيه، وكيف ثبت أن مثل هذه العادات الخاطئة وراء معظم وأخطر الأمراض المتوطنة التى تعانى منها البشرية، وكانت ركيزة أساسية اليوم للإجماع العالمى على الاهتمام بالبيئة والقضاء على مصادر التلوث.

- إلى أى مدى أرشد الإسلام إلى التمتع بالحلال الطيب من الطعام والشراب، وكيف نهاهم عن كل خبيث، وكيف أثبت العلم الحديث متأخرًا أثر هذه الأطعمة الخبيثة على إصابة الجسم بأمراض خطيرة مثل تلك الناتجة عن تناول لحم الخنزير.. والمخدرات والمسكرات إلى آخر قائمة المحرمات.

- كيف أرشد ونبه على أن المعدة بيت الداء، وأن الإكثار من تناول الطعام بدرجة غير طبيعية ينطوى على مخاطر وأمراض يعانى الجسم منها بعد ذلك.. وكيف كان الهدى فى: (**ما ملأ ابن آدم وعاء قط شرًا من بطنه**).. وكيف كان هدى السنة فى حكمة مراعاة ذلك التقدير



(ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) وكما قال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير الغذاء، وقال بعض الشعراء:

فكم من لقمة منعت أخاها   بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لأمر   وفيه هلاكه لو كان يدرى

- أرشد الإسلام إلى ضرورة التداوى، وأن الله قد خلق لكل داء دواء.. ولابد من أخذ الأسباب الكافية لدفع البلاء والمرض، وكيف أرشد الهدى النبوى إلى كثير من نصائح التداوى.. وإلى ما يعد تراثًا خالدًا فضلاً عن كونه مدخل لثقافة راقية فى الداء والدواء، وكيف السبيل لأن يعيش المسلم صحيح البدن طاهر الطوية، قوى الشكيمة، مرهوب الجانب بحق وعدل، ومن هنا فكل إضافة طبية عصرية.. تفتح للمسلم آفاق الصحة والعافية فالمسلم مأمور بها.. وكل نصيحة طبية تحذر المسلم من مؤثرات سلبية على صحته سواء كانت مأكولاً أو مشروبًا أو أى عادة فيعتبر المسلم مكلف بالامتناع عنها وطبقًا لقاعدة «لا ضرر ولا ضرار»، هذا ومن الضرورى أن ننوه أن المسلم، يتعبد بالفرائض والأوامر التى أمر الله به، سواء أدرك الحكمة من هذه العبادات، أم لم يدرك ذلك.

❊❊❊❊

الرياضة

قال -تعالى-:

* ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

* ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ [العاديات: ١-٥].

* ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المائدة: ٩٦].

٣٨- «عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «إن الله -تعالى- يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله، فارموا، واركبوا، وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا، كل شيء يلهو به الرجل باطل، إلا رمية بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته امرأته فإنهن من الحق» رواه الترمذي.

٣٩- قال رسول الله -ﷺ-: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» رواه مسلم.



٤٠- عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: **(سابقنى النبى -ﷺ- فسبقته، فلبثنا حتى إذا أرهقنى اللحم سابقنى فسبقنى، فقال: هذه بتلك)** أخرجه الإمام أحمد.

٤١- عن سلمة بن الأكوع قال: (بينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدًا (ركضًا) فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة، هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك قال: فلما سمعت كلامه، أما تكرم تكريمًا، ولا تهاب شريفًا؟ قال: لا، إلا أن يكون رسول الله -ﷺ- قال: قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى ذرنى فلأسابق الرجل قال: **«إن شئت فسبقته»** رواه مسلم.

٤٢- عن أبى رافع -رضى الله عنه- مولى رسول الله -ﷺ- قال: خرجنا مع على -رضى الله عنه- إلى خيبر، فبعثه رسول الله -ﷺ- برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول على -رضى الله عنه- باب الحصن، فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتنى فى نفر معى سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما استطعنا أن نقلبه» وروى الحافظ البيهقى والحاكم من طريق جعفر الباقر عن جابر أن عليا -رضى الله عنه- حمل

الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً.

٤٣- وعن على -رضى الله عنه- قال: كانت بيد رسول الله قوس عربية فرأى رجلاً بيده قوس فارسية فقال: **«ما هذه؟ ألقها وعليكم بهذه وأشباها ورماح القنا (المستقيمة) فإنهما يزيد الله بهما فى الدين ويمكن لكم فى البلاد»** رواه الطبرانى وأخرجه البيهقى فى السنن.

٤٤- قال رسول الله -ﷺ-: **«بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى، ومن تشبه بقوم فهو منهم»** رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما-.

٤٥- قال رسول الله -ﷺ-: **«واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»** رواه البخارى.

٤٦- وعن ابن إسحاق، قال: (خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنّع بالحديد، فنادى من يبارز؟ فقام على بن أبى طالب -رضى الله عنه- فقال: أنا لها يا نبى الله فقال: (إنه عمرو) (اجلس)، ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم، ويقول: أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إلى رجلا؟



فقال على -رضى الله عنه- فقال: أنا يا رسول الله، فقال: (اجلس)، ثم نادى الثالثة، فقال: فذكر شعره، قال: فقام على -رضى الله عنه- فقال: يا رسول الله أنا، فقال: (إنه عمرو) فقال: وإن كان عمرا، فأذن له رسول الله -ﷺ- فمشى إليه حتى أتى وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
فى نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز
إنى لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا على، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا على بن أبى طالب، فقال: يا ابن أخى من أعمامك من هو أسن منك، فإنى أكره أن أهريق دمك فقال له على -رضى الله عنه- لكنى -والله- لا أكره أن أهريق دمك، فغضب فنزل وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو على -رضى الله عنه- مغضبًا، واستقبله علىّ بدرقته، فضربه عمرو فى درقته فقدّها، وأثبت السيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه على -رضى الله عنه- على حبل عاتقه فسقط، وثار العجاج وسمع رسول الله -ﷺ- التكبير، فعرفنا أن عليا -رضى الله عنه- قد قتله، فثم يقول على -رضى الله عنه-:



أعلى تقتــحم الفوارس هكذا عنى وعنهم أخروا أصــحابى
اليوم يمنعنى الفــرار حفيظتى ومصمم فى الرأس ليس بنابى

****

إضاءة على المعنى:

لجلاء: واسعة.

الهزاهز: الحروب والشدائد.

درقته: الترس من الجلود.

فقدها: قطعها.

عنى: تنحوا عنى.

مصمم: السيف لا ينثنى.

نبا السيف: ارتفع فلم يصب.

قبسات من نور الوحى:

والإســلام دين الليــاقــة والتــروض والإعــداد المتــكامل لكل جــوانب واحتياجات النفس، وبكل ما يملؤها بهاء وضياء وقوة وإشراقة نفس، ومن هنا كانــت نظرة الإسلام للرياضــة واعتنائه بهــا، كما كــانت له -فى نفس الوقت- نظرته المتميزة فيما وراء ذلك من أهداف جاءت على الوجه التالى:



- تقوية البدن، وبالتالى قوة فى الحركة فقوة فى العطاء والإنتاج، وقدرة على التحمل فى مواجهة الصعاب: أخذا من حديث رسول الله -ﷺ- : «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير» وخاصة أن للرياضة آثار كبيرة على الصحة العامة وفى الوقاية من كثير من الأمراض كأمراض القلب وارتفاع ضغط الدم. وللإمام ابن القيم مقالة مفيدة حول هذا البعد فيقول فى كتابه القيم: «الطب النبوى». (من المعلوم افتقار البدن إلى الغذاء والشراب، ولا يصير الغذاء بجملته جزءًا من البدن، بل لابد أن يبقى منه عند كل هضم بقية ما، إذا كثرت على مر الزمان اجتمع منها شيء له كمية وكيفية فيضر بكميته بأن يسد ويثقل البدن ويوجب أمراض الاحتباس، وإن استفرغ تأذى البدن بالأدوية، لأن أكثرها سمية، ولا يخلو من إخراج الصالح المنتفع به، ويضر بكيفيته بأن يسخن بنفسه أو بالعفن أو يبرد بنفسه أو يضعف الحرارة الغريزية عن إنضاجه.

وسدد الفضلات لا محالة ضارة، تُركت أو استفرغت، والحركة أقوى الأسباب فى منع تولدها، فإنها تسخن الأعضاء وتسيل فضلاتها فلا تجتمع على طول الزمان وتعوّد البدن الخفة والنشاط وتجعله قابلاً للغذاء وتصلب المفاصل وتقوى الأوتار والرباطات، وتؤمن جميع الأمراض المادية وأكثر الأمراض المزاجية إذا استعمل القدر المعتدل منها فى وقته وكان باقى التدبير صوابًا.

ووقت الرياضة بعد انحـدار الغذاء وكمال الهضم والرياضـة المعتدلة هى التى تحمـر فيها البشـرة وتربو ويتندى بها البدن، وأما التـى يلزمها سيلان العرق فمفرطة، وأى عضو كثرت رياضته قوى، وخصوصًا على نوع تلك الرياضة، بل كل قـوة هذا شأنها، فإن من استـكثر من الحفظ قويت حـافظته، ومن اسـتكثر من الفكر قـويت المفكرة، ولكل عـضو رياضة تخـصه، فللصـدر القراءة، ورياضـة السمع بسـمع الأصوات، والكلام بالتـدرج، وكذلك رياضـة اللسـان فى الكلام وكذلك رياضـة البصـر وكذلك رياضة المشى بالتدريج شـيئًا فشـيئًا وأما ركـوب الخيل، ورمى النشاب، والصـراع، والمسابقة على الأقدام، فرياضـة للبدن كله، وهى قالعة لأمراض مزمنة، كالجذام والاستسقاء والقولنج»[1].

- **استيعاب القدرات والمهارات القتاليـة والدفاعية اللازمة فى الجهاد والدفاع عن النفس:** ففى الحديث قوله -ﷺ- وهو على المنبر: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمى، ألا إن القوة الرمى**» رواه مسلم.

وكان الصحـابة أكثر حرصًا على العـمل بوصايا رسول الله -ﷺ- شبابًـا وشيوخًا فـهذا عقبـة بن عامر يختلف بين الغـرضين أى الرامى والهدف وهو شـيخ كبيـر فقيل له: تفـعل هذا وأنت شيخ كبـير يشق عليك؟ فقال: لولا كـلام سمعتـه من رسول الله -ﷺ- لم أعانه -أى

(١) محمد مأمون البيلى: رياضات الشباب المسلم: ١١٢.



لم أتحمل قساوته وشدته- سمعته يقول: «من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا، وفى لفظ: فقد عصى» رواه مسلم.

ولقد سجل التاريخ أسماء أول من رمى وأول من سل سيفًا فى الإسلام، فقد أخرج ابن عساكر، عن الزهرى قال: بعث رسول الله -ﷺ- سرية فيها سعد بن أبى وقاص -رضى الله عنه- إلى جانب من الحجاز يدعى رابغ، فانكفأ المشركون على المسلمين، فجاءهم سعد بن أبى وقاص -رضى الله عنه- يومئذ بسهامه وكان أول من رمى فى سبيل الله وكان هذا أول قتال فى الإسلام، وقال سعد -رضى الله عنه- فى رميه:

ألا هل أتى رسول الله أنى ... حميت صحابتى بصدور نبلى
أذود بها أوائلهم ذيادا ... بكل حزونة وبكل سهل
فما يعتد رام فى عدو ... بسهم يا رسول الله قبلى

كما أخرج ابن عساكر عن سعيد بن المسيب، قال: إن أول من سل سيفًا فى الله الزبير بن العوام -رضى الله عنه- بينا هو ذات يوم قائل (من القيلولة) إذ سمع نغمة: قتل رسول الله -ﷺ- فخرج متجردًا بالسيف صلتًا (مصلتا)، فلقيه النبى -ﷺ- كَفّة كَفّة (مواجهة) فقال: «مالك يا زبير»، فقال: سمعت أنك قُتلت، قال: «فما أردت أن تصنع»،

قال أردت -والله- أن استعرض أهل مكة (أقتل من ألقاه منهم) فدعا له النبى -ﷺ- وفى ذلك يقول الأسدى:

هذاك أول سيف سل فى غضب ... لله سيف الزبيـر المرتضى أنفا

حمية سبقت من فضل نجدته ... قد يحبس النجدات المحبس الأرفا

- **الترويح عن النفس ومعالجة الهموم:** فلقد ثبت أن للرياضة آثار نفسية على الممارس لها، كالتخلص من الاكتئاب، ونتيجة للشعور التى تولده لدى الممارس بالإنجاز والتغلب على مشكلات الحياة والانتظام فى النوم، وهذا ما لفتت له السنة النبوية منذ أربعة عشر قرنا، ومن قوله -ﷺ- فى الحديث الذى روته السيدة عائشة -رضى الله عنها-: **(ما على أحدكم إذا لج به همه، أن يتقلد قوسه فينفى به همه)** رواه الطبرانى فى الصغير.

- **ولقد اعتنى الإسلام بكثير من الرياضات التى يهتم به عالم اليوم:** كرياضة الرمى، والمبارزة، والسباحة، وركوب الخيل، ورفع الأثقال كما رأينا عليا -كرم الله وجهه- فى خيبر وقد ترس نفسه بباب لم يستطع أن يحمله ثمانية من الصحابة بعد ذلك، ولقد روى عن النبى -ﷺ- أنه «مر بقوم يربعون -من الربع وهو رفع الحجر باليد امتحانًا للقوة- حجرًا ليعرفوا الأشد منهم فلم ينكر عليهم».



ومنها سباق الجرى والمصارعة، ففى سنن أبى داود عن محمد بن على بن ركانة: أن ركانة: صارع النبى -ﷺ- ورأينا فى فصل خلق «الشجاعة» كيف كان يميز النبى -ﷺ- بين الشباب من أصحابه بالغلبة والمصارعة كما حدث فى غزوة أحد عندما أمر سمرة بن جندب ورافع بن خديج -رضى الله عنهما- أن يتصارعا بعد اعتراض سمرة على إجازة رافع للاشتراك فى المعركة، ولقد وعى الصحابة -رضوان الله عليهم- هذا الغرس وهذه العناية، وهذا عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يوصى رعيته: (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل)، كما كتب إلى أبى عبيدة بن الجراح: (أن علم غلمانك العوم، ومقاتلتكم الرمى).

والصيد من اللهو النافع أيضًا الذى أقره الإسلام، وهو فى الواقع متعة ورياضة واكتساب، سواء كان على طريق الآلة كالنبال والرماح، أو عن طريق الجوارح كالكلاب والصقور. على أن الصيد المباح هو ما يكون لمنفعة وليس مجرد العبث لقول رسول الله -ﷺ-: «**من قتل عصفور عبثا عج إلى الله يوم القيامة يقول: يارب، يارب، إن فلانًا قتلنى عبثًا ولم يقتلنى منفعة**» رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه.

ولقوله -ﷺ-: «**ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عنها يوم القيامة**، قيل: يا رسول الله وما حقها؟ فقال: أن **يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها فيرمى بها**» رواه النسائى والحاكم

وقال: صحيح الإسناد، هذا ويشترط فى الصائد ألا يكون محرمًا بحج أو عمرة.

- أنه لا بأس على المرأة والفتاة من ممارسة بعض الرياضات: التى تحفظ لها رشاقتها وصحتها وتمنحها اللياقة البدنية وتزيل التراكمات الدهنية وتعالج السمنة، كرياضة الجرى والمشى والتمرينات السويدية، على أن يمارس ذلك داخل البيت، أما أن تدخل فى سباقات.. تُجر فيها خارج البيت وتخلع ثوب العفة.. وبحجة المساواة بالرجل، فهذا تمرد على الفطرة والدين والحياء.

- أن الرياضة فى الإسلام، ممارسة وتربية، وتدخل فى دائرة اللهو المباح بشروطه: (مثل ستر العورات وعدم الاختلاط)، ومنها ما لم يعطل عن عبادة، كما أنها ليست عصبيات ومشاجرات.. كما أن شعبية اللعبة تقاس بعدد من يمارسونها، وليس بعدد من يشجعونها.. أما ما نراه اليوم من عصبيات وتشنجات حول بعض اللعب، فقد خرج معظمه عن طور الممارسة المرغوب فيها ودخل طور الإلهاء، ومن قبيل تخدير الشعوب وإلهائها عن مواجهة مشكلاتها.. بتضييع أوقات الشباب فى متابعة الدورات تتلوها دورات.. فتضيع الأوقات، وتنحدر الاهتمامات، وتسطح الثقافات، وتسفل الغايات.

- وينبغى الالتفات أنه إذا كان استيعاب المهارات القتالية والدفاعية وراء دعم الإسلام لكثير من الرياضات: فإذا تطورت معارك وحروب اليوم



بالاعتمــاد على مهارات الذكاء والعــقول الإلكترونية. . فــينبغى دعم تلك الرياضات التى تنمى تلك المهارات، مــثل ألعاب الذكاء وألعاب الحاسوب التى تنمى الخيال العلمى، وذلك ما لم تعطل عن واجب أو فريضة ولا تعتمد على الحظ والحدس.

- **يجيــز الإســلام الرهان بين المتــسابقــين حتى يوجــد التنافس:** ويحمى المتسابقيــن فيحرص كل منهما على أن يكون أمــهر من الآخر وأجود من صاحــبه، وهذا التنافس فى حد ذاته مطلوب لما يتــرتب عليه من وجود طبــقة ممتــازة من الفرســان اللازمين للحــرب. . ولذلك أباح الرســول -ﷺ- الرهان فى أنواع الفروســية التى تفــيد فى الحــرب، ويعود نفــعها على المسلمــين فى الجهاد، يقــول الرسول -ﷺ-: «**لا سبق إلا فى خف أو نصل أو حــافر**» واتفق جمهــور العلماء على جواز المسابقــة بعوض -وهو الرهان- بشــرط أن يكون من غيــر المتســابقين كالإمام، حــيث لا يكون له معهم فرض، وأجاز الجــمهور أن يكون من أحد الجانبين من المتــسابقين، وكذا إذا كان معــهما ثالث محلل، بشرط ألا يخرج من عنده شيئًا ليخرج العقد عن صورة القمار، وهو أن يخرج كل منهما ســبقا، فمن غلب أخذ السبــقين، فهذا هو الذى اتفــقوا على منعــه. . (ومثــيله أن يشــترط المال المجــعول للفــائز من شخص ثالث غير المتسابقين أو من أحدهما فقط، ويحرم إذا كان من كلا المتــسابقين أو من جــموع المتســابقين على أن يفــوز به من يحقق

السبق على غيره من المتسابقين) وقيل لأنس بن مالك: «أكنتم تراهنون على عهد رسول الله -ﷺ-؟ قال: نعم، ولقد راهن رسول الله -ﷺ- على فرس له يقال له (سبحه) فسبق الناس، فبش لذلك وأعجبه» رواه أحمد.

- **نهى الإسلام عن بعض الألعاب:** ومنه ما جاء فيه نص صريح «النرد» أو الطاولة لقوله رسول الله ﷺ: **«من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه»** رواه مسلم وغيره وقوله: **«من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»** رواه أحمد وغيره، وما يحرمه البعض قياسًا على ما جاء بشأنه نص صريح كالشطرنج وأوراق اللعب على أن جميعه يحرم في حالة اللعب على سبيل المقامرة والميسر.

****



اللهو والسمر

أ- السمعيات والمرئيات:

قال -تعالى-:

* ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠- ٩١].

٤٧- قال رسول الله ﷺ: «كل شيء ليس فيه ذكر الله فهو لهو ولعب، إلا أربع: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشيه بين الغرضين،، وتعليم الرجل السباحة» رواه النسائي.

٤٨- عن حنظلة الأسيدي -رضي الله عنه- وكان من كتَّاب رسول الله ﷺ قال: (لقيني أبو بكر وقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة!! قال: سبحان الله، وما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأينها رأى العين، فإذا

خرجنا من عند رسول الله ﷺ عـاسفنا (لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثـيرًا!! قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا! قال حنظلة: فانطلقت أنا وأبوبكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسـول الله نكون عندك تذكرنـا بالنار والجنة حتى كـأنا نراها رأى العين، فإذا خرجنـا من عندك عاسفنا الأزواج والأولاد والضيعات، ونسينا كثيرًا!

قال رسول الله ﷺ «والذى نفسى بيده: إنكم لو تدومـون على ما تكونون عندى وفى الذكـر لصـافحـتكم الملائكة على فـرشكم وفى طرقكم، ولكن يا حنـظلة ساعـة وسـاعة وكـرر هذه الكلمـة ساعـة وساعة ثلاث مرات» صحيح مسلم.

٤٩- عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: بينمـا الحبشة يلعـبون عند النبى ﷺ بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصـباء فحصبهم بها فقال رسول الله ﷺ: «**دعهم يا عمر**» متفق عليه.

٥٠- وعن أنس: لما قدم رسـول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشـة لقدومه بحرابهم فرحًا بذلك» متفق عليه.

٥١- قال رسـول الله ﷺ: «**ليكونن من أمـتى قوم يسـتحلون الحر والحـرير والخمـر والمعازف**» رواه البخارى وفى لفظ «**ليشـربن ناس من أمتى**

الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رءوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير» رواه ابن ماجه.

٥٢- عن عائشة -رضى الله عنها-: «أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبى ﷺ: **«يا عائشة.. ما كان معهم من لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»** رواه البخارى.

٥٣- وعن عائشة أن أبا بكر -رضى الله عنه- دخل عليها وعندها جاريتين فى أيام منى -فى عيد الأضحى- تغنيان وتضربان والنبى ﷺ متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبى ﷺ وجهه وقال: **«دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد»** متفق عليه.

٥٤- عن عائشة زوج النبى ﷺ: دخل الحبشة المسجد يلعبون، فقال لى رسول الله ﷺ: **«يا حميراء، أتحبين أن تنظرى إليهم؟»**. فقلت: نعم، فقال بالباب، وجئته، فوضعت ذقنى على عاتقه، فأسندت وجهى إلى خده، قالت: ومن قولهم يومئذ: أبا القاسم طيبًا، فقال رسول الله ﷺ: **«حسبك»** فقالت: يا رسول الله، لا تعجل، فقام لى، ثم قال: **«حسبك»** قلت: لا تعجل يا رسول الله، قالت: وما لى حب النظر إليهم، ولكنى أحببت أن أعلم النساء مقامه لى، ومكانى منه» رواه البخارى.

قبسات من نور الوحي:

تأتى فلسفة إباحة اللهو فى الإسلام، متطابقًا مع نظريته التوازنية، فى التوازن فى تغذية جوانب النفس البشرية ذات الطبيعة الخاصة، إلى الدرجة التى أثمت الصوم الدائم أو الرهبانية أو قيام الليل كله، على أساس أن قانون التدين بالإسلام التعادلية: «**إن لربك عليك حقًا ولنفسك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذى حق حقه**»، فكان من الضرورى تهيئة تلك المساحة للنفس لكى تأخذ حقها.. وقبل أن تكف عن العطاء اضطراريًا.. وحين يدفعها الشره إلى العبادة فى الملل والتوقف، وفى ذلك يقول الإمام على -كرم الله وجهه-: «إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها الحكمة» ويقول أيضًا: «روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلب إذا أكره عمى» ومن هنا أيضًا تميز الإسلام بواقعيته، وبقدرته على التعامل مع أدق خلجات النفس.. ومن مستواها البشرى لا الملائكى، وكما يقول الدكتور يوسف القرضاوى: (الإسلام دين واقعى لا يحلق فى أجواء الخيال والمثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع. ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أولوا أجنحة مثنى وثلاث ورباع، ولكنه يعاملهم بشرًا يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق، لذلك لم يفرض على الناس -،ولم يفترض فيهم- أن يكون كل كلامهم ذكرًا وكل

صمتهم فكرًا، وكل سماعهم قرآنا، وكل فراغهم فى المسجد، وإنما اعترف بهم وبفطرهم وغرائزهم التى خلقهم الله عليها، وقد خلقهم - سبحانه- يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون، كما خلقهم يأكلون ويشربون)[1].

وفى هذا الإطار نستطيع أن نعالج قضية وموقف الإسلام من الغناء والسماع.

موقف الإسلام من الغناء:

أولاً: الغناء من غير آلة:

ما يباح من الغناء، مما نقله الشيخ محمد الحامد فى رسالته حكم الإسلام فى الغناء عن الفقهاء: (يباح الغناء إن كان لبعث الهمة على العمل الثقيل، أو الترويح للنفس أثناء قطع المفاوز كالارتجاز، فقد ارتجز النبى ﷺ وأصحابه -رضى الله عنهم- فى بناء المسجد، وحفر الخندق، وكالحداء الذى يحدو به الأعراب إبلهم، وكالشعر السالم من الفحش ووصف الخمر وحاناتها والتشبيب بامرأة حية معيّنة، والخالى أيضًا من هجاء مسلم أو ذمى، فإن الغناء بهذه المحترزات حرام.

فإن كان التشبيب (ذكر المحاسن) بغير معين جاز، فقد أنشد كعب بن زهير بحضرة النبى ﷺ قوله:

(١) د. يوسف القرضاوى، الحلال والحرام ص٢٧٨.

وما سـعاد عـداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت كـأنه مـنهل بالراح مـعلول

وقد سمع النبى ﷺ أيضا قصيدة حسان التى أولها:

قبلت فؤادك فى المنام خريدة تسقى الضجيع ببارد بسام

ومن هذا النوع المباح غناء النساء لينام الصغار.

ومنه الغزل البـرء كـالذى يقولـه النساء فى الأعـراس ولا رجـال يسمعوهن، فقد أذن النبى ﷺ أن يقلن:

أتـينـاكـم أتـينـاكـم فـحـيـانا وحـيـاكم
ولولا الحـبـة السـمـراء مـا حـللـنا بـواديكـم

ومنه الزهريات المجردة مما فيه وصف الرياض والرياحين والأنهار.

فهذا كله جائز إن لم يُقل على آلة لهو محـرمة، فإن قيل عليها كان محظورا ولو وعظا وحكمًا لمكان الآلة لا لذات التغنى بالمباح..)[1].

ثانيًا: حكم سماع الموسيقى:

الموسيقى هى الصوت الرخيم الذى ينبع من نغـمات مختلفة الدلالة سواء صدرت عن إنسان أو حيوان أو جماد، ولقد اختلف الفقهاء حول

(١) تربية الأولاد فى الإسلام: مرجع سابق: ج٢: ٩١٨.

جواز الاستماع إلى الآلات الموسيقية، وانقسموا ما بين مؤيد ومعارض، وذلك على النحو التالى:

أولاً: ذهب جمهور الفقهاء إلى تحريم ذلك مطلقًا، فقال ابن حجر الهيثمى: (الأوثان والمعازف كالطنبور والصنج والعود ذى الأوتار، والرباب والجنك والكمنجة والسنطير والدربيج وغير ذلك من الآلات المشهورة عند أهل اللهو والسفاهة والفسوق، هذه كلها محرمة بلا خلاف، ومن حكى أن فيها خلافًا فقد غلط، أو غلب عليه هواه حتى أصمه وأعماه ومنعه هُداه، وزل به سنن تقواه، ممن حكى الإجماع على تحريم ذلك كله أبو العباس القرطبى. وقد قال ابن تيمية: فمذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو كلها حرام، وقد حكى ابن الصلاح الإجماع على التحريم فقال فى فتاواه: «وأما إباحة هذا السماع وتحليله، فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت، فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحد ممن يعتد بقوله فى الإجماع والاختلاف أنه أباح هذا السماع.

ثانيًا: ذهب ابن حزم الأندلسى إلى أن حكمه يتبع نية المستمع، فمن نوى بالاستماع إليها عونًا على معصية الله -تعالى- فهو فاسق، ومن نوى بها الترويح عن نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله -عز وجل- وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع محسن، وفعله هذا من الحق،

ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه، ومبنى رأيه أنه لم يثبت عن الله -تعالى- ولا عن نبيه ﷺ نهى عن ذلك، فكان حكمه فى الأصل الإباحة، وإنما نظر إلى نية المستمع لأن النبى ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات».

ثالثًا: ذهب بعض الفقهاء المحققين المعروفين بالورع والتقوى إلى التفصيل فى المسألة، ومن هؤلاء الشيخ عبد الغنى النابلسى -أحد أعلام الفقه فى القرن الثانى عشر الهجرى- فقد قرر فى رسالته «إيضاح الدلالات فى سماع الآلات» أن الأحاديث التى استدل بها القائلون بالتحريم -على فرض صحتها- مقيدة بذكر الملاهى، وبذكر الخمرة والقينات، والفسوق والفجور، ولا يكاد حديث يخلو من ذلك، وعليه كان الحكم عنده فى سماع الأصوات والآلات المطربة أنه إذا اقترن بشىء من المحرمات، أو اتخذ وسيلة للمحرمات، أو أوقع فى المحرمات بصورة مباشرة أو غير مباشرة كان حرامًا، وأنه إذا سلم من كل ذلك كان مباحًا فى حضوره وسماعه وتعلمه)[1].

أخيرًا: تأتى أهمية تجاوز الموقف السلبى من قضية الغناء والسماع إلى اتخاذ موقف أكثر إيجابية، وهو اتخاذ السبل الكفيلة لاستغلال حاجة

(١) د. نزيه حماد، حكم الموسيقى فى الإسلام، مجلة الوعى الإسلامى، عدد ص٣٧٤ مع بعض التصرف.



النفس لشيء من اللهو والسماع -وخاصة في أوساط الشباب- في إنتاج البديل دائمًا- لا أن نظل عرضة للاستهلاك والافتتان لما يعرض -وفي استثمار المواهب لدى كل شاب ملتزم موهوب في أن يوظف موهبته في جمع الناس على الله وذلك تقوى من الله، لا أن يجتمع -المبدعون- في ساحات المحرمات من الغناء والموسيقى المخالطة لكل محرم، وستظل حاجة السماع سلاح فعال في تنشيط الهمة على الطاعة والحركة في سبيل الله... والعمل والإنتاج والطموح والعطاء ونسمات الشوق والابتهاج، آخذين في الاعتبار أن سماع الموسيقى والغناء هو جزء من ثقافة غير المسلم، وهو وسيلة أساسية في حياته، يلجأ إليها للاستئناس وإزالة الوحشة المنبعثة عن افتقاده لعامل الإيمان وبعده عن اللهو ومعالجة الاضطرابات النفسية الناشئة عن بعده عن الله والافتقاد إلى الركن الركين، ولو عرف مثلا ما تنتجه «الصلاة» من راحة ولذة على القلب.. وكذلك، لذة التلاوة والسماع لكتاب الله الكريم، لما اسرف فيما في عبادة الرقص والغناء، ومن هنا يأتي لهو «الغناء والسماع» بشروطه المذكورة، على أنه رخصة للهو والترويح يروح بها المسلم من حين لآخر، لا أن يموت ويحيا ويصبح ويمسى عليها!

ثالثًا: موقف الإسلام من المرئيات (السينما والمسرح والفيديو...)

نظرة على تاريخ السينما العربية: إن الناظر في تاريخ السينما العربية يستلفت انتباهه الملاحظات الآتية:

- أن السينما وكل فنون الدراما اختراعات غربية.

- أن دخول السينما وفنون التمثيل الدول العربية وفى مقدمتها مصر كان فى ظل المرحلة الاستعمارية.

- أن السينما العربية والمصرية على وجه الخصوص قامت على أيدى نصارى ويهود رحلوا من الشام على أغلب التقدير، شأنها شأن كل الأفكار والتيارات التغريبية الوافدة.

- أن السينما المصرية بدأت وظلت لفترة طويلة عالة على النصوص المترجمة، وبكل «ما يشوب التمصير» من نمطيات الحياة الغربية ومشكلاتها وعاداتها وأخلاقياتها.

- اعتمدت السينما المصرية وهذه الفنون على الجمهور الإنجليزى وجنود الاحتلال.. على أنه الجمهور الأساسى.. مما كان من الضرورى تملقه.. بقضايا مرتبطة بالعرى والرقص والشرب.. الخ، لاستمرار المسيرة وللتمويل.

- أن السينما المصرية العربية ظلت مرتهنة بالسوق العالمى وتيارات الفكر والأدب ومهرجانات السينما العالمية.. مما جعلها ليست ذاتية وأصولية ومتحررة النشأة والاستمرار.

- اقترنت بمرحلة الغزو الفكرى ومنظومة التغريب (التنوير الغربية المنشأ)

فكانت أقوى الأسلحة فى إجراء عمليات التغيير الاجتماعى فى مجتمع مسلوب الإرادة.

مخاطر السينما والدراما السينمائية والتليفزيونية: تنبع سلبيات السينما وكل فنون الدراما المرئية، بل والإعلامية، من كونها من أخطر أسلحة التغيير الاجتماعى.. وبالتالى فيعتمد مبدأ القبول والرفض لها على الفلسفة القائمة عليها والقيم التى تحكمها وتبشر بها.

ومن هنا نمى موقف التوجس والرفض الدينى والإسلامى لمعظم المعطيات الفنية لهذه المؤسسات، ففى ظل مراحل الغزو الاستعمارى ثم الفكرى المتآمر على التحضر الإسلامى نبعت تلك الخطورة وذلك الحذر لهذه المعطيات، والتى مثلت كخنجرًا فى جسد المجتمع المغلوب على أمره، وذلك من خلال الآتى:

التفكيك: أى تفكيك القيم التى يدين بها المجتمع ويقدسها:

من قيم الالتزام والحياء والتدين، إلى قيم التحرر والتمرد.

ومن قيم الزواج والأسرة إلى قيم الاختلاط والعلاقات العاطفية خارج إطار الزواج.

ومن قيم اللجوء إلى الله عند الشدائد إلى قيم اللجوء إلى البارات والسكر والرقص والعربدة.

وفى هذا الإطار يتم تقديم القيم الإنسانية كالرحمة والأمانة.. مجردة من إطارها الدينى.. فى محاولة ماكرة لسحب البساط من تحت التوجيه الدينى.

والتفكيك مهمته التشكيك البطىء فى القيم السائدة تمهيدًا لإحلال القيم البديلة والقيم البديلة هنا قيم المجتمع العلمانى.. وذلك باستغلال العيوب الاجتماعية وربطها بالقيم المحافظة، مع أن العيوب نشأت من البعد عن القيم.. ويتم ذلك تحت شعارات براقة، كالتنوير، والتحرر، والعقلانية، والتقدم.. الخ، وذلك من خلال عدة وسائل منها:

- التشويه: والتشويه أول مراحل التفكيك.. وذلك من خلال تقديم العيوب الاجتماعية الناشئة عن البعد عن الدين والقيم أساسًا، على أنها عيوب مرتبطة بقيم المجتمع، فلكى يشيع العلاقات غير المشروعة بين الشاب والفتاة.. من خلال الصداقات والحب والقبلات.. ينسج دراما لأسرة متعسفة: والد ديكتاتورى منفر يقف أمام رغبات الشباب، مما يقدم لنا ضحايا وشهداء أحيانًا على مائدة الحب مما يستجلب العطف على النموذج المتحرر.. ومن خلال ذلك يقدم لنا سلبيات الزواج على غير رغبة الشاب والفتاة وما فيه من القهر ومع أن الإسلام يرفض صور الزواج بغير موافقة الفتاة، ويرفض القهر والديكتاتورية.. إلا أن الحل دائمًا لا يأتى من الدين ولكن يأتى من قيم المجتمع المتحرر من الدين.



وهكذا يتم تشويه رموز القيم المفككة، فيتم تشويه الرمز الدينى فى مقابل تزيين الرجل المتحرر فهو مثال النظافة والنظام والذوق والعلم.. وفى هذا الإطار تسحق العمامة رمز الإمام والعالم، ورجل اللغة العربية كضحية لمدرس اللغات الأجنبية ومدرس الموسيقى والرقص.. وأخيرًا وفى إطار خطة تشويه وتجفيف التدين يتم تشويه المحجبات واللحية والجلباب كمثل للتخلف والعنف والإرهاب.. وفى تحدى للواقع الذى يشهد للكثير منهم بالتفوق والعلم والنبوغ والعبقرية والخلق والأمانة والوطنية..!

فى نفس الوقت الذى يتم بإصرار على تقديم نماذج التحرر مثالاً للقدوة.. فالراقصة مثلاً للكفاح والإنسانية وأحيانًا للوطنية!

الإقصاء: والإقصاء أسلوب آخر للتفكيك.. وهو يتم من خلال تجاهل النماذج غير المرغوبة فيها وعدم ذكرها سلبًا وإيجابًا وكأنها ليست فى مجتمعنا.. ويتم نشر وفرض النموذج المطلوب فرضه، ليل نهار، فإذا كان المطلوب علماء قدم النموذج العلمانى، وإذا كان المطلوب تقديم نماذج للفكر والأدب، قدم النموذج العلمانى، وإذا كان المطلوب تقديم نماذج للوطنية.. يتم تقديم الرموز العلمانية.. مع أن الثابت على أرض الواقع أن العلماء والحركة الإسلامية وأهل التدين كانوا وقود الثورات والحروب والمقاومة، وهم الذين يثبتون حين يفر غيرهم،



ويؤتمنون حين يخون غيرهم.. كما أنهم ضحية دائمًا لصفقات مع الأعداء، وباسم مكاسب محدودة.

وعندما يكون المطلوب تقديم برامج حوارية (تحت زعم الديمقراطية والتعدد) تطرح كل الآراء.. الشرقية.. والغربية.. والإلحادية والفرعونية والشعوبية والتطبيعية ويتم السكوت عن غير المرغوب عمدًا.. فيتم التعود على ذلك رأى الأمة والشعب، وتحت هذا الإطار المزيف تطرح كل القضايا والمشكلات للنقاش- الاجتماعية والعاطفية والنفسية والسياسية، بل والدينية- وما فى ذلك من تضليل للرأى العام.. وإقصاء العلماء عن تقديم وجهات نظرهم فى القضايا المجتمعية والفكرية والسياسية.. الخ وإبدالهم بعلماء الاجتماع وعلم النفس، وفى حالة الاضطرارا -لتقديم الرؤية الدينية- تشرك النوعية الضعيفة المستوعبة التى لا تكون على مستوى طرح وتقديم الرؤية الإسلامية الصافية!

وامتدادًا للإقصاء أيضًا تقدم المرأة فى الدراما.. فالمرأة المتبرجة المتمردة.. مع أن الشارع والمؤسسات يشهدان بأنهن أقلية ونسبة شاذة عن المجتمع.. وأكبر مثال صارخ للإقصاء، إقصاء المذيعات المحجبات.

ولا يمنع وجود هذه السلبيات الخطيرة، أن نقول بأن السينما قد قدمت عددا من الأعمال الدينية والتاريخية والاجتماعية والسياسية الإيجابية، وإن شابها محاذير شرعية، وتشوهات فكرية.

موقف الإسلام من التمثيل ومشاهدته:

يقول الشيخ عبد الله علوان: (ما التمثيل فى الحقيقة سواء أكان فى مسرح أو فى استديو إلا توضيح لحادثة تاريخية، أو تجسيد لواقعة اجتماعية، أو إظهار لموقف سياسى أو إصلاحى.. الغاية منه إقناع العقول فى هذه الحادثة، والتأثير على النفوس فى هذه الواقعة والاستحواذ على القلوب فى هذا الموقف.

ومما يؤكد التمثيل بالشخصيات:

ما مثل للنبى ﷺ ليلة إسرائه ومعراجه عن أحوال العصاة وأهل الكبائر من أمته وما سوف يلقونه من هوان وعذاب.

- روى أحمد وأبو داود وإسناده صحيح (أنه ﷺ مر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم).

وروى ابن حبان فى صحيحه: (أنه مر برجال تقرض شفاههم بمقاريض من النار، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون؟).

- وروى الطبرانى والبزار: (.. ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر، ولحم نيئ خبيث فى قدر، فجعلوا يأكلون من النيئ

الخبيث، ويدعون النضيج، فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة..).

ثم انتهى فضيلته إلى:

والذى أخلص إليه بعدما تقدم: أن التمثيل مباح شرعًا لما أوردنا من نصوص من القرآن والسنة تؤيد إباحته لكونه يوضح الفكرة، ويجسد الواقعية، ويثير العاطفة، ويصور الحادثة، وليس هو من قبيل التزوير فى شىء لأن الجمهور يعلم أن هذه المشاهد التى يراها ليست من قبيل الحقيقة، وإنما هى من قبيل التشبيه والتمثيل.

ولكن التمثيل ليس مباحًا على إطلاقه، وإنما هو مقيد بشروط وضعها الإسلام، وهى مرتبة كما يلى:

١- ألا يمثل بشخصيات تاريخية لها قداستها فى نفوس المؤمنين كشخصيات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والخلفاء الراشدين.. لأن إظهارهم لها يفقد فى النفوس قداستهم واحترامهم.. والمحجوب دائمًا محترم ومقدس ومرغوب.

٢- ألا يظهر فى التمثيل أى مظهر من مظاهر المجون والخلاعة كالرقص والمعازف وظواهر الخمر ومقدمات الزنا.. لكونها محرمة فى شريعة الإسلام.



٣- ألا يظهر فى التمثيل نساء ورجال أو نساء يراهن رجال، لكون الإسلام يحرم السفور والاختلاط والخلوة بالمرأة الأجنبية والنظر إليها.

٤- أن يستهدف التمثيل مصلحة الدين والعلم والأخلاق، وتربية الفرد والأسرة والمجتمع.

٥- ألا يخدم التمثيل نظامًا أجنبيًا أو مبدءًا هدامًا، أو عقيدة باطنية كافرة.. لأن للإسلام أصالة فى العقيدة، وتميزًا فى الأخلاق ومنهاجًا فى التوجيه والإصلاح.

٦- أن يكون الاختيار للإخراج والتمثيل، وكتابة المسرحية.. من أصناف المؤمنين الواعين الذين يبلغون رسالات ربهم، ويُخلصون لهذا الإسلام.

فإذا وجدت هذه المواصفات فى التمثيل، والممثل والمخرج وكاتب المسرحية.. فالإسلام لا يرى فى التمثيل حرجًا، ولا فى المسرح بأسًا.. مادام التمثيل فى خدمة الإسلام، ومصلحة الفرد والأسرة والمجتمع، بل يكون وسيلة من وسائل الدعوة، وأداة مهمة من أدوات الإصلاح فى العصر الحديث.

وانتهى فضيلته أيضًا إلى جواز المشاهدة (فى السينما أو المسرح) مرتبط بتحقق شروط جواز التمثيل.. وهو ما يتنافى عليه واقع السينما والمسرح)[1].

---

(١) عبد الله علوان: حكم الإسلام فى وسائل الإعلام ص ٣١- ٣٩.



وأخيرًا فإنه يمكن القول بأن كل هذه الأنماط الفنية سواء أخذت على سبيل اللهو والتسلية أو على سبيل الإعلام والدعاية، سوف يتغير الموقف منها حينما تكون ذاتية الإنتاج مستقلة التمويل والفكر، رسالية الأهداف، وهذا ما ترنوا الآمال إليه فى أجيال أكثر تميزًا ووعيًا وقدرة وتمويلاً وأمانة ودينًا وخلقًا ومهارة(١).

ب- المزاح والسمر:

قال -تعالى-:

* ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) فى تجربة رائدة فى السينما الإيرانية نجد أنه «لم تترك أى ممثلة إيرانية الساحة.. ولم تعتزل إحداهن التمثيل.. والغريب فى الأمر أنه على عكس ما يشاع، بأن المقبلات على دخول حقل التمثيل يزددن.. والسبب بسيط هو أنهن يعتقدن أن الفن رسالة لا تتعارض مع الدين الذى يمثل عقيدة ثابتة داخل نفوسهن، هذا أولاً، وثانيًا: فإن نموذج الفن الإيرانى لم يعتمد على لغة الجسد ليعبر بها عن فكرة.. إذن فالمرأة لم تعد فى نظر الفن الإيرانى رمزًا للجنس فقط، وثالثًا: فإن السينما الإيرانية لا تطالب الفنانة بخلع حجابها أمام الكاميرات.. أو التعرى.. أو حتى مصافحة أجنبى عنها -«لا تحدث هذه المصافحة أو الملامسة إلا فى حالة أن يكون الممثلان زوجين فى الأصل».. وبناء على هذه الحيثيات الثلاث يرى الأهالى أنه لا يعيبهم أن تكون إحدى بناتهم ممثلة ما دامت تقف على منبر لنشر الجمال والفضيلة، والفكر أحيانًا، ولعل هذه النقاط الثلاث سالفة الذكر فى نظر الفن الإيرانى هى نقطة تميزه عن كل سينما العالم، حيث أن المخرج مطالب بإخراج حبكة فنية تعبر عن موقف الدراما دونما حاجة إلى قبلات أو أحضان أو مشاهد فراش، حيث إن المصافحة غير مطلوبة أصلاً!!
أضواء على السينما الإيرانية- عبد الجليل الشرنوبى. آفاق عربية، عدد (٤١٠).



* ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

* ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

قال رسول الله ﷺ: «من أفضل العمل إدخال السرور على المؤمن، تقضى عنه دينًا، تقضى له حاجة، تنفس عنه كربة» صحيح.

٥٥- عن جابر بن عبد الله -رضى الله عنه- قال: كنا نسير مع رسول الله ﷺ فقال لى: «أتزوجت بعد أبيك؟ قلت: نعم، قال: أثيبًا أم بكرًا» قلت: ثيبًا. قال: «فهلا بكراً تضاحكها وتضاحكك، وتلاعبها وتلاعبك» متفق عليه.

٥٦- عن أم سلمة -رضى الله عنها- قالت: «خرج أبو بكر -رضى الله عنه- فى تجارة للبصرة ومعه نعيمان (على الزاد) وسويبط (وكان مرحًا) وهما ممن شهدوا بدرًا.. فقال سويبط لنعيمان: أطعمنى قال نعيمان: حتى يجيئ أبو بكر، قال سويبط: فلأغيظنك، فمروا بقوم، فقال لهم سويبط: تشترون منى عبدًا لى. قالوا: نعم. قال: إنه عبد له كلام، وهو قائل لكم إنى حر فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه تفسدون على عبدى.. قالوا: لا بل

نشتـريه منك، فاشتروه منه بعـشر قلائص -أى عشـر ناقات- ثم أتوه فوضعـوا فى عنقه عمامـة أو حبلاً. . فقال لهم نعـيمان: إن هذا يستـهزئ بكم، وإنى حـر لست بعبـد، فقـالوا: قد أخـبرنا خبرك، وانطلقوا به فلما جـاء أبو بكر، وأخبره بذلك، أتبع القوم ورد عليهم القلائص وأخـذ نعيمان ولما قدمـوا المدينة أخبروا النبى ﷺ فضحك هو وأصحابه منه» «أخرجـه ابن ماجة والإمام أحمد إلا أن راوية الأخير كـان المازح نعيمان والمبتاع سـويبط، وأخرجه ابن عبد البـر فى الاستيعاب من طرقه» التـأصيل الإسلامى. انظر حياة الصحابة الجزء الثانى ص٤٢٢.

٥٧- عن أنس -رضى الله عنه- قـال: (إن رجلاً من أهل البادية اسـمه زاهر -ممن شهـدوا بدرًا- كان يهدى للنبى ﷺ الهـدية من البادية، فيجـهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، وكـان ﷺ يقول: «إن زاهر باديتنا ونحن حـاضرته»، وكان النبى ﷺ يـحبه، وكـان رجلاً دميمًا، فأتاه يومًا وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال الرجل: أرسلنى، من هذا؟ والتفت فعرف النبى ﷺ فجعل لا يألوا لصق ظهـره بصدر النبى ﷺ حين عـرفه، وجـعل النبى ﷺ يقول: «من يشـترى العبد؟» فقـال: يا رسول الله إذا والله تجـدنى كاسـدًا. فقـال النبى ﷺ: «لكن عند الله لست بكاسـد»، أو قال: «لكن عند الله أنت غال» رواه أحمد، رواه البيهقى ٣: ١٦١.



٥٨- عن خوات قال: «نزلت مع رسول الله ﷺ مر الظهران، فخرجت من خبائى فإذا نسوة يتحدثن، فأعجبنى، فرجعت، فأخذت حلة لى من حبرة فلبستها، ثم جلست إليهن، وخرج رسول الله ﷺ من قبته فقال: **«يا أبا عبد الله ما يجلسك إليهن»** فقلت: يا رسول الله جمل لى شرود، فأبتغى له قيدًا.. قال خوات فمضى رسول الله، وتبعته، فألقى رداءه، ودخل الأراك، فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقال: **«يا أبا عبد الله، ما فعل شراد جملك؟..** ثم ارتحلنا، فجعل لا يلاحقنى فى منزل إلا قال لى: **«السلام عليك يا أبا عبد الله، ما فعل شراد جملك؟»** قال: فتعجلت إلى المدينة، فاجتنبت المسجد، ومجالسة رسول الله ﷺ فلما طال ذلك، تحينت ساعة خلوة المسجد، فجعلت أصلى، فخرج رسول الله من بعض حجره، فجاء يصلى ركعتين خفيفتين، ثم جاء فجلس، وطولت رجاء أن يذهب ويدعنى، فقال ﷺ: **«طوّل يا أبا عبد الله ما شئت، فلست بقائم حتى تنصرف)** فقلت: والله لأعتذرن لرسول الله، ولأبردن صدره. قال: فانصرفت فقال: **«السلام عليك يا أبا عبد الله، ما فعل شراد جملك؟»** فقلت: والذى بعثك بالحق، ما شرد ذلك منذ أسلمت.. فقال ﷺ: **«رحمك الله -مرتين أو ثلاثًا- ثم أمسك فلم يعد»** المعجم الكبير للطبرانى، ج٤: ٢٠٤: رقم ٤١٤٦.



٥٩- جاءت أم أيمن الحبشية إلى الرسول ﷺ فقالت: إن زوجى يدعوك، فقال لها: «من هو؟ أهو الذى بعينه بياض؟» فقالت: ما بعينه بياض. فقال: «بلى بعينه بياض».. فذهبت المرأة إلى زوجها فوجدته نائمًا. فأخذت تفتح عينيه لترى هل بها بياض أم لا.. فقال ﷺ: «ما من أحد إلا بعينيه بياض» قال العراقى: رواه الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة والمزاح ورواه ابن أبى الدنيا من حديث عبد الله بن فهرى مع اختلاف اتحاف المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٧: ٥٠٠).

٦٠- عن عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما- عن النبى ﷺ أنه قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم، حدثونى ما هى؟» قال: فوقع الناس فى شجر البوادى، قال عبد الله: فوقع فى نفسى أنها النخلة، ثم قالوا: حدثنا ما هى يا رسول الله؟ قال: «هى النخلة» رواه البخارى فى باب «طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم».

قبسات من نور الوحى:

من الآثار النبوية السابقة نجد أن الإسلام أقر كثيرًا من صور التسلية والترفيه عن النفس، وبالإضافة مما سبق من فصل نجد هنا كيف الإسلام أقر سرد القصص والطرائف على سبيل العبرة والعظة بالإضافة إلى



التسرية والتسلية: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾.. فاشتمل القرآن على عديد من قصص الأمم الغابرة، وقصص الأنبياء مع أقوامهم.

- المزاح والمداعبة: لقد ضرب رسول الله ﷺ نموذجًا رائعًا لخفة الظل، من خلال مداعباته ومزاحه مع أهل بيته ومع أصحابه -مع أن مزاحه كان حقًا- ومع الفتيان والصبية وضاربًا المثل أيضًا فى كيفية إدخال السرور على المسلم، فلم ير عابسًا أو معنفًا.

وكما وجدناه فى بيته مداعبًا ومازحًا لأمهات المؤمنين، فضلاً عن إقراره ﷺ وتشجيعه لبعضهن على ممارسة اللعب أو الفرجة على اللعب، كما وجدنا أن الضحك والمداعبة عنده ليست من قبيل الصدفة، بل حرص على تأصيل ذلك عند أصحابه، عندما قال لجابر بن عبد الله -رضى الله عنه-: «**هلا بكرًا تضاحكها وتضاحكك وتلاعبها وتلاعبك**».

ومن هذا المبدأ وجدناه يمزح ويتلطف مع الصغير والكبير والنساء والرجال والعبيد والسادة.

وهكذا وجدنا أصحابه يتمتعون بهذه الروح التى لا تفارق الجد، أو العبادة.. بل استطاعوا أن يجمعوا بينهما ولكل له وقته وأوانه.

- المسابقات: فى الحادثة التى رواها عبد الله بن عمرو وعن: مسابقة «الشجرة التى لا يسقط ورقها...» تعكس إلى أى مدى كانت تطرح



فى مجلس رسول الله ﷺ وأصحابه نموذج للمسابقات لامتحان سعة المعلومات واختبارات الذكاء، حيث يعلق ابن القيم على ذلك فيقول: (فالفروسية فروسيتان: فروسية العلم والبيان، وفروسية الرمى والطعن).. وقال: «لما كان أصحاب رسول الله ﷺ أكمل أخلاقًا فى الفروسيتين فتحوا القلوب بالحجة والبرهان والبلاد بالسيف والسنان).. كما قال: وقد أمر الله -سبحانه وتعالى- رسوله بجدال الكفار والمنافقين وجلاد أعدائه المشاقين والمحاربين، فعلم أن الجدال، الجلاد من أهم العلوم وأنفعها للعباد والمعاد، ولا يعدل مداد العلماء إلا دماء الشهداء).

والمسابقات العلمية تعتبر إحدى وسائل الترويح المباح إذا ما عادت فوائدها على أصحابها بتحصيل العلم والاستفادة به.. ومثل ابن القيم للعلوم التى يجوز المسابقة فيها بقوله: (المسابقة على حفظ القرآن والحديث والفقه وغيرها من العلوم النافعة) وحكى اختلاف العلماء فى جواز أخذ العوض (الجوائز) على الفوز فيها ولكنه رجح جوازه محتجًا بمراهنة الصديق -رضى الله عنه- لكفار قريش على صدق وتحقيق قوله -تعالى-: ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ الرُّومُ ② فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١- ٤].



وقال: (إنه لم يـقم دليل شرعى على نسـخه، وإن الصـديق أخذ رهنهم بعـد تحريم القـمار). . ثـم قال: (وإن الدين قـيامـه بالحجـة والجـهاد فـإذا جـاز المراهنة على آلات الجـهـاد فـهى فى العلم أولى الجوائز)[1].

❊❊❊❊

(١) د. محمد عزمى صالح: التأصيل الإسلامى لرعاية الشباب: ٨٩- ٩٥.

المهارات

أ- البيان والشعر:

قال -تعالى-:

* ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [٢٢١- ٢٢٧].

٦١- عن ابن عمر قال: قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله ﷺ: «**إن من البيان لسحرا**» رواه البخارى عن ابن عمر. وقال: «**إن من الشعر حكمة**» رواه البخارى عن أبى بن كعب.

٦٢- عن كعب بن مالك أنه قال للنبى ﷺ: إن الله -تعالى- قد أنزل فى الشعر ما أنزل فقال النبى ﷺ: «**إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونه به نضج النبل**» رواه فى شرح السنة، وفى الاستيعاب لابن عبد البر قال: يا رسول الله



ماذا ترى فى الشعر؟ فقال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه».

٦٣- وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون» رواه الترمذى وقال: هذا حديث غريب.

٦٤- وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم صرف الكلام ليسبى به قلوب الرجال -أو الناس- لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً» رواه أبو داود.

٦٥- قال رسول الله ﷺ: «لأن يمتلىء جوف رجل قيحًا يريه خير من أن يمتلىء شعراً» متفق عليه عن أبى هريرة وفى رواية «حتى يريه وهو من الورى وهو داء بداخل الجوف وقيل معناه: يصيب رئته».

٦٦- وعن عمرو بن العاص أنه قال يومًا وقام رجل فأكثر القول فقال عمرو: لو قصد فى قوله لكان خيرًا له سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد رأيت-أو أمرت- أن أتجوز فى القول فإن الجواز هو خير» رواه أبو داود، وعن صخر بن عبد الله بن ريدة عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من البيان سحراً، وإن من العلم جهلاً. وإن من الشعر حكمًا، وإن من القول عيالاً» رواه أبو داود.

٦٧- عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبرًا في المسجد يقوم عليه يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح ويقول رسول الله ﷺ: «**إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله**» رواه البخاري.

٦٨- وعن أنس قال كان للنبي ﷺ حاديًا يقال له أنجشة وكان حسن الصوت فقال له النبي ﷺ: «**رويدك يا أنجشة لا تكسر القوارير**» قال قتادة يعني ضعفة النساء، متفق عليه.

٦٩- وعن عائشة قالت: ذكر عند رسول الله ﷺ الشعر فقال رسول الله ﷺ: «**هو كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح**» رواه الدارقطني ورواه الشافعي عن عروة مرسلاً.

٧٠- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**» متفق عليه.

٧١- عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفت رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟**» قلت: نعم قال: «**هيه**» فأنشدته بيتًا فقال «**هيه**»، ثم أنشدته بيتًا فقال: «**هيه**» حتى أنشدته مائة بيت. رواه مسلم.



٧٢- وعن البراء قال: قال النبى ﷺ: يوم قريظة لحسان بن ثابت: «أهج المشركين فإن جبريل معك» وكان رسول الله ﷺ يقول لحسان: «أجب عنى، اللهم أيده بروح القدس» متفق عليه.

٧٣- وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «أهجو قريشا فإنه أشد عليهم من رشق النبل» رواه مسلم، وعنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله» وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واستفى» رواه مسلم.

٧٤- وعن البراء قال: كان رسول الله ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبرَّ بطنه ويقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته (أبينا أبينا) متفق عليه.

٧٥- وعن أنس قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق وينقلون التراب وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

قال: يقول النبى ﷺ وهو يجيبهم:

اللهم لا عيش إلا عيش الأخرة   فاغـفر للأنـصار والمهـاجرة

متفق عليه

****

قبسات من نور الوحى:

قد يحتاج الإنسان لأن يعبر عن نفسه وعن أحاسيسه، وعن خواطره وانطباعاته، وعن معاناته.. فيأتى ذلـك من خلال جمل بيانية بليغة.. أو أبيات شعرية ساحرة.. أو من خـلال قصة من نسج خياله.. يسقط عليها نظرته للحياة.

ومن هنا كـان الأدب والبيـان من المهـارات العذبـة الإنسانيـة التى يستحب أن يكتشفها الإنسـان فى نفسه.. ويملأ بها فراغه.. ومن هنا كان يجب أن يعرف التصور الإسلامى للأدب بجميع أشكاله.

والتصـور الإسلامى لكل فنون التعـبير، له ملامح وخـصائص من الخصوصية العامة للثقافة الإسلامية عمومًا، والتى من أهم خصائصها: الإنسانيـة والرحمـة والبعـد عن العنصرية أو الاسـتعـلاء، والأصالة، الصدق، الوضوح والبعد عن التعـقيدات والأوهام، والإيمان فى مقابل الشك والارتيـاب فى الآداب الغربية، والـتفاؤل، والتكامـل، والبرهان والاعتـماد على الدليـل لا التقليـد، والحرية ذات الضوابـط، والالتزام



والمسئولية، وثبات القيم، وترابط الفردية والجماعية، وترابط العلم بالعمل، والاعتراف برغبات الإنسان، وقوامة الرجل، وتكامل المعرفة، والوسطية.

موقف الإسلام من فنون الأدب:

يعلق صاحب الظلال على آيات سورة الشعراء على موقف القرآن من الشعراء، مستنبطًا النظرة الكلية للإسلام للفنون فكان مما قال: (طبيعة الإسلام -وهو منهج حياة كامل معد للتنفيذ فى واقع الحياة، وهو حركة ضخمة فى الضمائر المكنونة وفى أوضاع الحياة الظاهرة -إن طبيعة الإسلام هذه لا تلائمها طبيعة الشعراء كما عرفتهم البشرية -فى الغالب- لأن الشاعر يخلق حلمًا فى حسه ويقنع به، فأما الإسلام فيريد تحقيق الحلم ويعمل على تحقيقه، ويحول المشاعر كلها لتحقق فى عالم الواقع ذلك النموذج الرفيع.

والإسلام يحب للناس أن يواجهوا حقائق الواقع لا يهربوا منها إلى الخيال المهوّم، فإذا كانت هذه الحقائق لا تعجبهم، ولا تتفق مع منهجه الذى يأخذهم به، دفعهم إلى تغييرها، وتحقيق المنهج الذى يريد، ومن ثم لا تبقى فى الطاقة البشرية للأحلام المهّومة الطائرة، فالإسلام يستغرق هذه الطاقة فى تحقيق الأحلام الرفيعة، وفق منهجه الضخم العظيم.

ومع هذا فالإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته -كما يفهم من ظاهر الألفاظ -إنما يحارب المنهج الذى سار عليه الشعر والفن، منهج الأهواء والانفعالات التى لا ضابط لها؛ ومنهج الأحلام المهوّمة التى تشغل أصحابها عن تحقيقها، فأما حين تستقر الروح على منهج الإسلام، وتنضج بتأثيراته شعرًا وفنًا؛ وتعمل فى الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة فى دنيا الواقع؛ ولا تكتفى بخلق عوالم وهمية تعيش فيها، وتدع واقع الحياة كما هو مشوهًا قبيحًا! . . .

ولقد وجه القرآن القلوب والعقول إلى بدائع هذا الكون، وإلى خفايا النفس البشرية وهذه وتلك هى مادة الشعر والفن وفى القرآن وقفات أمام بدائع الخلق والنفس لم يبلغ إليها شعر قط فى الشفافية والنفاذ والاحتفال بتلك البدائع وذلك الجمال.

ومن ثم يستثنى القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

ومن هؤلاء الشعراء الذين نافحوا عن العقيدة وصاحبها فى إبان المعركة مع الشرك والمشركين على عهد رسول الله ﷺ: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة -رضى الله عنهم- ومن شعراء الأنصار، ومنهم عبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث

ابن عبد المطلب وقد كانا يهجوان رسول الله ﷺ فى جاهليتهما، فلما أسلما حسن إسلامهما ومدحا رسول الله ﷺ ونافحا عن الإسلام.

والصور التى يتحقق بها الشعر الإسلامى والفن الإسلامى كثيرة غير هذه الصورة التى وجدت وفق مقتضياتها، وحسب الشعر أو الفن أن ينبع من تصور إسلامى للحياة فى أى جانب من جوانبها، ليكون شعرًا أو فنًا يرضاه الإسلام.

وليس من الضرورى أن يكون دفاعًا ولا دفعًا؛ ولا أن يكون دعوة مباشرة للإسلام ولا تمجيدًا له أو لأيام الإسلام ورجاله.. ليس من الضرورى أن يكون فى هذه الموضوعات ليكون شعرًا إسلاميًا. وإن نظرة إلى سريان الليل وتنفس الصبح، ممزوجة بشعور المسلم الذى يربط هذه المشاهد بالله فى حسه لهو الشعر الإسلامى فى صميمه، وإن لحظة إشراق واتصال بالله، أو بهذا الوجود الذى أبدعه الله، لكفيلة أن تنشىء شعرًا يرضاه الإسلام.

ومفرق الطريق إن للإسلام تصورًا خاصًا للحياة كلها، وللعلاقات والروابط، فأيما شعر نشأ من هذا التصور فهو الشعر الذى يرضاه الإسلام(١).

(١) سيد قطب: فى ظلال القرآن: ج٥: ٢٦٢١- ٢٦٢٣.

وتبقى قضية يتشدق بها «المتمردون» هؤلاء الذين يأخذون الأدب ستارًا لهدم القيم والعقائد والإساءة لمظاهر التدين.. وهى الزعم بأن الأيديولوجيات تعوق الإبداع الفنى وتنال من الشكل لحساب المضمون، وتتقيد بالالتزام، وتتعارض مع الحرية التى هى أساس الإبداع! متجاهلين هذه الصور الحية، والنابضة بروائع الخير والحق والجمال والمتمثلة فى الإعجاز البيانى لكل من القرآن الكريم والسنة النبوية بالإضافة لذلك التراث الأدبى الإسلامى العريق.. وهذا ما قال به جارودى ذلك المفكر الفرنسى الحديث العهد بالإسلام: (إن الأدب الإسلامى هو فى جوهره أدب الاستشراف والتسامى بالنفس الإنسانية، إنه أدب يستلهم القرآن الكريم فى بناء الإنسان؛ ذلك أن الإسلام يحمل بذور تغيير جذرى، على مستوى الإنسانية كلها، ولذلك أضفى على التيار الذى سيسود الفكر العالمى والأدب الإنسانى، العقيدة السامية، التى لا تكف أبدًا عن إلهام الفكر والأدب[١]).

والعجيب.. فى فهم هؤلاء حين يعنون بالحرية، مزيج من النزوات والرفض والقتل والاغتصاب والتحلل من القيم!

(إن «إسلاميات» أحمد شوقى لم تنقص من شاعريته أو إبداعه، بل على النقيض من ذلك سمت به وبشعره إلى آفاق أسمى وأرحب؛ جعلته يقف على رأس شعراء العربية فى القرن التاسع عشر والقرن

(١) د. نجيب الكيلانى: «الأدب الإسلامى وقضية الإبداع» مجلة الأمة القطرية: عدد: ٥٨.

العشرين، كما أن فلسفيات إقبال (الشاعر والمفكر الباكستانى العظيم) الشعرية بالأوردية والفارسية، قد أقعدته مكانة عالية، ليس فى العالم الإسلامى وحده، بل فى شتى أقطار الأرض وخاصة فى أوروبا، ولقد كان إقبال -رحمه الله- حريصًا على الإبداع والارتقاء بالصورة الفنية، وكثيرًا ما عاب على أدباء الشرق تشبثهم بالتقليد السيىء، فلا بلغوا روعة التراث الأصيل، ولا استحدثوا أساليب نابضة بالقوة والخير والجمال[١].

ولعله من المناسب أن نسوق لهؤلاء ومن على شاكلتهم رسالة أطلقها شاعر مصرى ومبدع ملتزم[٢]، إلى المدعو سلمان رشدى، ذلك الكاتب الذى ارتد عن الإسلام، ولم يكتف بذلك بل وجه فى كتابه «آيات شيطانية» أكبر إساءة يوجهها كاتب فى التاريخ إلى الرسول ﷺ:

فى زمن الردة والبهتان.

اكتب ما شئت ولا تخجل.

فالكفر مباح.. يا سلمان.

ضع ألف صليب... وصليب فوق القرآن.

وارجم آيات الله ومزقها فى كل لسان.

لا تخش الله ولا تطلب صفح الرحمن.

---

(١) د. نجيب الكيلانى- مرجع سابق.

(٢) فاروق جويدة.

فزمان الردّة نعرفه.

زمن المعصية.. بلا غفران.

إِن ضل القلب فلا تعجبِ

إن يسكن فيه الشيطان.

لا تخش خيول أبى بكر.

أجهضها جبن الفرسان.

وبلال الصامت فوق المسجد.

أسكته سيف السجّان.

أتراه يؤذن بين الناس بلا استئذان؟

أتراه يرتل باسم الله.

ولا يخشى بطش الكهان؟

فاكتب ما شئت ولا تخجل.. فالكل مهان.

وأكفر ما شئت ولا تسأل فالكل جبان.

فالأزهر يبكى أمجادًا.

ويعيد حكايا.. ما قد كان.

تصرخ فى صمت بين القضبان.



والشعب القابع فى خوف.

ينتظر العفو من السلطان.

والناس تهرول فى الطرقات.

يطاردها عبث الفئران.

والباب العالى يحرسه.

بطش الطغيان.

أيام الأنس وبهجتها.

والكأس الراقص والغلمان.

والمال الضائع فى الحانات.

يسيل على أيدى الندمان.

فالباب العالى مأخور.

يسكنه السفلة والصبيان.

يحميه السارق والمأجور.

ويحكمه سرب الغربان.

جلاد يعبث بالأديان.

وآخر يمتهن الإنسان.

والكل يصلى للطغيان.

ومحمد نور مسجون بين الجدران.

وخديجة تبكى فى شجن.

أيام النخوة.. والفرسان.

عائشة تحدّق فى صمت.

تسأل عن عمر.. أو عثمان.

فاطمة تنادى سيف الله.

فلا تسمع غير الأحزان.

اسألك بربك يا سلمان.

هل تجرؤ أن تكسر يومًا أحد الصلبان؟

أن تسخر يومًا من عيسى.

أو تلقى مريم فى النيران

ما بين صليب.. وصليب.

أحرقت جميع الأديان.

فاكتب ما شئت ولا تخجل.

فالكل مهان.. وجبان.

خبرنى يومًا..

حين تفيق من الهذيان.

هل هذا حق الفنان...؟

أن تشعل حقدك فى الإنجيل.

وتغرس سمُّك فى القرآن.

أن ترجم موسى أو عيسى.

أو تسجن مريم فى القضبان.

أن يغدو المعبد والقداس.

وبيت الله مجالس لهو للرهبان.

أن يسكر عيسى فى البارات.

ويرقص موسى للغلمان

هل هذا حق الفنان؟

أن تحرق دينًا فى الحانات.

لتبنى مجدك بالبهتان.

أن تجعل ماء النهر.



سمومًا تسرى فى الأبدان..

لن يشرق ضوء من قلب.

لا يعرف طعم الإيمان.

لن يبقى شىء من قلم.

يسفك حرمات الإنسان.

فاكفر ما شئت ولا تخجل.

ميعادك آت يا سلمان.

دع باب المسجد يا زنديق.

وقم واسكر بين الأوثان.

سيجئك صوت أبى بكر.

ويصيح بخالد:

قم واقطع رأس الشيطان.

فمحمد باق ما بقيت دنيا الرحمن

وسيعلو صوت الله.. ولو كرهوا.

فى كل زمانٍ.. ومكان.

ب- التصوير:

٧٦- جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إنى رجل أصور هذه الصور فأفتنى فيها، فقال أدن منى، فدنا منه ثم قال: أدن منى فدنا منه، وحتى وضع يده على رأسه فقال: أنبؤك بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مصور فى النار ويجعل له بكل صورة صورها نفسًا تعذبه فى جهنم**» وقال: «**إن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له**» رواه مسلم.

٧٧- عن عبيد الله بن عبد الله أنه دخل على أبى طلحة الأنصارى يعوده فوجد عنده سهل بن حنيف، فأمر أبو طلحة إنسانًا ينزع نمطًا تحته، فقال له سهل: لم تنزع؟ قال: لأنه فيه تصاوير وقال فيها رسول الله ﷺ: «**ما قد علمت. قال: ألم يقل إلا رقمُ فى ثوب؟ قال: بلى ولكنه أطيب لنفسى**» أخرجه الترمذى بهذا اللفظ وقال حسن صحيح.

٧٨- عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: دخل علىّ النبى ﷺ وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلون وجهه وقال: «**يا عائشة أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**» قالت عائشة فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين» رواه مسلم.

***



قبسات من نور الوحى:

و«التصـوير» من الفنون الشائكة التى ارتاب منهـا المسلمون كثيرًا، ونظرًا لاقتـرانه بالتماثيل المعـبودة من ناحيـة كما كان فى الجـاهلية، أو التماثيل الإغريـقية العارية.. أو ما يوحى بالتشبـيه بالخالق.. ومن هنا رسم الإسلام لفنانيـه خطًا آخر فى التعـبير.. بعيـدًا عن الجرائيم... لتلك الخطوط التى عبر بها الفنان المسلم فى لوحات غاية فى الجمال!

أما الموقف الشـرعى العام من «التصـوير» فمن النصوص السـابقة، ومن غيرها اجـتهد العلماء فى استنباط رأى الإسـلام فى فنون التصوير المختلفـة، فاتفـقوا على أمـور منها واخـتلفوا فى أخرى، عـلى الوجه التالى:

رأى الإسلام فى التصوير:

يلخص الدكتور الحسينى أبو فرحة هذا الرأى فيقول:

(للإسلام فى التـصوير وصنع التـماثيل موقـف دقيق، ذلك أن من أسباب عبادة غير الله في الأمم السابقة تصويرهم لصالحيهم، وتقديسهم لهذه الصور بعد موت أصحابها حتى طال بتـقديسهم لها العهد فعبدت من دون الله، وقد فـهم العلماء من جملة الأحـاديث الواردة فى تحريم التصوير أن علة التحريم ترجع إما لمضاهات الخالق في صنعه، أي تشبه الإنسان بربه فى الخلق والإيجاد، ولذا يعاقب من يقصد إلى هذا المعنى



يوم القيامة بالتكليف بما يعجز عنه، والعلة الثانية لتحريم التصوير، هى اتخاذ الصور معبودات مع طول الزمن، ولما نظر العلماء لواقع الأمر فى الأمة المسلمة ورأوا أن العلة الأولى منتفية تقريبًا وأن العلة الثانية بعيدة الوقوع لحفظ التوحيد.. بحفظ القرآن، الذي تكفل به قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. لما رأوا ذلك اختلفوا فى الحكم على التصوير، فذهب الجمهور من العلماء إلى أن تصوير ما لا روح فيه كالشجر لا حرمة فيه، أما تصوير ما فيه الروح فقد اختلفوا فيه، فرأى الإمام الخطابى: أن الصور التى لا ظل لها أي ليست تماثيل لما فيه روح لا يحرم صنعها ولا اتخاذها، ويدخل فى ذلك التصوير الفوتوغرافى والتابلوهات وذلك أخذًا من الاستثناء الوارد في بعض الروايات الصحيحة، وهو قوله ﷺ: «إلا رقمًا فى ثوب».. فقال الخطابى: هذا الاستثناء يبيح اتخاذ الصور، وفيه إشارة إلى جواز صنعها وعلى ذلك الفتوى يفتى الأزهر الشريف معقل الدراسات الإسلامية والعربية.. ويرى الإمام الشافعى جواز اتخاذ الصور التى لا ظل لها «أى الفوتوغرافية والتابلوهات إذا كانت فيما لا يمتهن، ونصوص الصحيحين البخارى ومسلم تشهد بذلك» وأباح البعض من علمائنا المعاصرين التماثيل التى تنقص عضوًا ظاهرًا للأغراض العلمية الصحيحة، كتعليم الطب وصون الزمن، قياسًا على جواز لعب البنات وغيرها مما أجازه السلف -رضوان الله عليهم- وينتهى بنا البحث إلى



جواز التصوير الفوتوغرافى والتابلوهات والصور الزيتية وكل ما لا ظل له، شريطة ألا تكون فيه حرمة أخرى كتصوير امرأة عارية»[1].

وقد جمع أحد الباحثين والمتخصصين فى الفنون التشكيلية رأى العلماء حول هذه القضية وانتهى من بحثه فى رصد نقاط الاتفاق والاختلاف:

١- إجماع جمهور العلماء قديمًا وحديثًا على حرمة التماثيل الشخصية لكل ذى روح من إنسان وحيوان وغيره إلا للضرورة كتعليم الطب وصون الأمن.

٢- إجماع جمهور العلماء على جواز عمل الرسومات والتماثيل لكل ما ليس له روح كالشجرة وغيره من عناصر الكون، الطبيعة.

٣- إجماع العلماء على جواز لعب البنات والرسوم المقدمة لهم إن كان فيها مصلحة عامة وتعليم القيم والخلق للنشء وإن كان أحدهم يرى ترك ذلك مظنة الشك، ولكنه يرى جوازه مع الاحتمال (رأى الشيخ ابن باز).

٤- اختلف العلماء على الرسوم والصور التشخيصية لكل ذى روح من إنسان وحيوان وطير وغيره بين جوازها وتحريمها)[2].

(١) د. يحيى عبده: الإسلام والفنون التشكيلية، محاضرة.

(٢) د. يحيى عبده: الإسلام والفنون التشكيلية، محاضرة.



جـ- المهارات التسخيرية:

قال -تعالى-:

* ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

* ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٧، ٣٨].

* ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

* ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ

اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٠ - ١٣].

* ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٥ - ٣٩].

* ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٦، ٩٧].

قال رسول الله ﷺ:

٧٩- «ما أكل أحد طعامًا قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده» رواه البخارى.

٨٠ - «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» فتح البارى فى شرح البخارى.



٨١ - «إن الله يحب العبد المحترف» رواه الطبرانى وابن عدى والترمذى.

قبسات من نور الوحى:

والفراغ فرصة أيضًا لتعلم المهارات اليدوية والفنية والتى تعود على الإنسان بعد ذلك بالنفع.. سواء كانت سببًا للكسب أو لقضاء احتياجاتك الشخصية والعائلية.

والإسلام احترم الاحتراف وقدر الإنتاج وحث على العمل اليدوى.. وكان الأنبياء جميعًا يزاولون الأعمال الحرة، ويتخصصون ببعض الحرف والصناعات، إذا عمل زكريا نجارًا وعمل داود حدادًا، وعمل موسى أجيرًا وكلٌ رعى الغنم كما أشار الرسول ﷺ فى أحاديثه، وكل مشى فى الأسواق كما أشار القرآن. وكذلك عمل الصحابة، حتى سارع أبو بكر -رضى الله عنه- إلى السوق صبيحة يوم استخلافه، وعلى رأسه أثواب يريد أن يتجر فيها، وقد كان يفعل، لولا أن منعه عمر وأبو عبيدة ليفرغ لأمور المسلمين، إذ قالا: كيف تصنع هذا وقد وليت أمور المسلمين؟! قال: فمن أين أطعم عيالى؟ قالوا: نفرض لك، ففرضوا له كل يوم شطر شاه.

وكان الصحابة كلهم عمالاً، فقد روى البخارى فى الفصل الذى عقده بعنوان «كسب الرجل وعمله بيده» أن عائشة -رضى الله عنها-



قالت: «كان أصحاب رسول الله ﷺ عمال أنفسهم، وكان لهم أرواح - أي روائح كريهة من أثر العمل- فقيل لهم: لو اغتسلتم.

وقد خفى يومًا حديث من أحاديث الرسول ﷺ على عمر بن الخطاب، فرد هذا إلى إنشغاله بالتجارة، إذ يقول، فيما يرويه البخارى: «أخفى عليّ من أمر رسول الله ﷺ؟ .. ألهانى الصفق فى الأسواق وبمثل هذا احتج أبو هريرة إذ خفي على الصحابة من أمر رسول الله ما علمه، فقال: «إن إخوانى من المهاجرين كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر مالا يحضرون؛ ويحفظ ما لا يحفظون» صحيح البخارى.

وحين هاجر المسلمون إلى المدينة، استضاف سعد بن الربيع الأنصارى عبد الرحمن ابن عوف -رضى الله عن الصحابة أجمعين- وعرض عليه نصف ماله، فأبى عبد الرحمن أن يكون عالة على سعد، وآثر العمل قائلاً: «هل من سوق فيه تجارة؟».

كذلك لم يستنكف على بن أبى طالب أن يعمل أجيرًا عند يهودي لقاء تمرات معدودات، فقد روى ابن ماجة عن ابن عباس قال: أصاب نبى الله ﷺ خصاصة، فبلغ ذلك عليًا، فخرج يلتمس عملاً يصيب فيه شيئًا ليغيث به رسول الله ﷺ، فأتى بستانًا لرجل يهودى، فاستسقى له سبعة عشر دلو بثمرة، فخيره اليهودى من تمره سبع عشرة عجوة، فجاء بها إلى النبى ﷺ.



وقد حث -سبحانه- على العمل أكبر الحث، وامتن على العباد أن ذلل لهم الأرض، وسخر لهم البحر، وأجرى لهم الفلك، وأضاء لهم النهار ليعلموا ويبتغوا من فضله، مع أن من الملاحظ أن التسخير الإلهى للبحر والأنهار والفلك والأنعام لا يغنى عن العمل، فهو - سبحانه- حين يقول: ﴿سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ [الجاثية: ١٢] لم يرد أن البحر يقذف للناس بالأسماك يأكلونها لحمًا طريًا، وإنما أراد أن مصادر الرزق كامنة فى البحر، مهيأة لمن يبذل الجهد فى استخراجها والانتفاع بها؛ وهذا ما نص عليه سبحانه بقوله ﴿تستخرجونها﴾.. وهكذا فإن التسخير قوة كامنة لا يظهرها إلا العمل، فبالعمل تصبح البحار والأنهار والفلك والأنعام مسخرة بالفعل بعد أن كانت مسخرة بالقوة(١).

ومن هنا فإن من الضرورى على الشباب اغتنام الوقت فى تعلم مهارات الكسب الحلال، وفنون الحياة.. والمهارات عديدة سواء كانت حرفية يدوية أم تعليمية أم فنية، مثل النجارة، والسباكة، والكهرباء، والكمبيوتر، وتحسين الخطوط، والرسم والتلوين، والمهارات الصوتية.

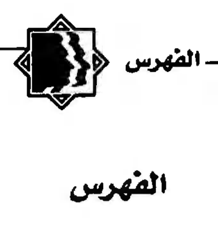
وكذلك الفتاة فإن أمامها فرص التعلم للمهارات النسائية المختلفة، كأعمال البيت، ومهارات الحياكة وأشغال الإبرة، وفنون التدبير... إلخ.

(١) جمال الدين عباد: شريعة الإسلام (العمل والعمال).

إن الصورة التى نود أن يقترب منها ويمتثلها الشباب المسلم مع امتلاكهم التصور الصحيح لمفهوم العمل، ونمو اكتسابهم لمهارات التسخير فى الكون المحيط، واستثمارها فى تنمية البيئة المحيطة، صورة ذلك (الإنسان المؤمن، بل النبى، الذى يبلغ من فهمه عن الله وشكره لنعمائه أن يمنحه خالقه هذا القدر الكبير من القوى المذخورة، ويكشف له عن هذه الطاقات الطبيعية الهائلة من أجل أن يبنى ويعمّر ويتفنن ويبدع ويبتكر ويتقدم بالحياة صعدًا، على طريق الخلافة المسئولة، المؤمنة، الراشدة، التى لا ينحرف بها هذا النعيم الكبير عن التزام الموقع الصحيح فى العلاقة المطلوبة بين الله والإنسان)[1].

****

(١) د. عماد الدين خليل: نحو إعادة تشكيل العقل المسلم، ص ١٤٦، كتاب الأمة.



الفهرس